



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

لغة العربية وآدابها

مجلة علمية دورية محكمة

يناير - مارس ٢٠٢٣ م

الجزء : ٢

العدد : ٧



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ٩٠٧٦-١٦٥٨

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ٩٠٨٤-١٦٥٨

الموقع الإلكتروني للمجلة

<http://journals.iu.edu.sa/ALS/index.html>

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:

asj4iu@iu.edu.sa

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. عبدالرحمن بن دخيل ربّه المطرفي

(رئيس التحرير)

أستاذ الأدب والنقد المشترك بالجامعة
الإسلامية

د. إبراهيم بن صالح العوفي

(مدير التحرير)

أستاذ النحو والصرف المشترك
بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالعزيز بن سالم الصاعدي

أستاذ النحو والصرف بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن محمد علي العوفي

أستاذ اللغويات المشترك بمعهد تعليم اللغة
العربية بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبوشي

أستاذ البلاغة المشترك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد بن صالح الشنطي

أستاذ الأدب والنقد بجامعة جدرا-الأردن

أ.د. علاء محمد رأفت السيد

أستاذ النحو والصرف والعروض
بالجامعة القاهرة

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي

أستاذ النحو والصرف

بالجامعة الملك عبدالعزيز بجدة

قسم النشر: د. عمر بن حسن العبدلي

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب لركستاني

أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى

أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة
العربية جامعة الأزهر

أ.د. توكي بن سهو العتيبي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد
بن سعود الإسلامية

أ.د. عبدالرزاق بن فراج الصاعدي

أستاذ اللغويات بالجامعة الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الحماش

أستاذ اللغويات في جامعة الملك
عبدالعزیز

أ.د. محمد بن مريسي الحارثي

أستاذ الأدب والنقد في جامعة أم القرى

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان

أستاذ الأدب والنقد. تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي

أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة

الإمارات العربية المتحدة

أ.د. عمر الصديق عبدالله

أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة

أفريقيا العالمية-الخرطوم

د. سليمان بن محمد العدي

وكيل وزارة الإعلام سابقاً

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتسم بالأصالة والجدة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستقلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:
 - عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
 - مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - مقدّمة.
 - صلب البحث.
 - خاتمة تتضمّن النتائج والتوصيات.
 - ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
 - رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.
- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثه فيه، و (١٠) مستلّات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقياً أو إلكترونياً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحليّة والعالمية - بمقابل أو بدون مقابل - وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة - في أي وعاء من أوعية النّشر - إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: <http://journals.iu.edu>.

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
(١)	شرح شواهد سيبويه لأبي جعفر النحاس بين المطبوع والمنقول د. أحمد بن عتيق بن راضي الحربي	٩
(٢)	تركيب المزج وأثره في الإعراب والبناء د. محمد بن عبد الله بن صويلح المالكي	٩٥
(٣)	النون الساكنة الوسطى "دراسة صرفية دلالية" د. حمد بن عبيد بن ريدان الرشيدى	١٤٩
(٤)	الأعلام المختومة بإيل دراسة تأصيلية نحوية د. آلاء بنت منصور بن صالح اليوسف	٢٢٩
(٥)	مدى توظيف متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للإشارات التداولية في كتاباتهم ماجد بن سليمان صالح العبدالله الحزري	٣٠٧

م	البحث	الصفحة
(٦)	الحِجَاجُ المُسَكَّتُ بِأَيَاتِ القُرْآنِ فِي نَمَازِجٍ مِنْ أَدَبِ الأَخْبَارِ أ.د. النوراني عبد الكريم كبور جبير	٣٤٣
(٧)	حِجَاجِيَّةُ الوصِيَّةِ فِي خُطَابِ المَرَأَةِ الجَاهِلِيَّةِ وَصِيَّةُ أَمَامَةِ بِنْتِ الحَارِثِ لِابْنَتِهَا نَمُودَجًا د. خالد سعيد أبو حكمة	٣٩٧
(٨)	المَقُولَةُ فِي التَّرَاثِ العَرَبِيِّ: مفهوم الشعر في "العمدة لابن رشيق" نموذجاً د. سمير الأزهر جوّادي	٤٣٧
(٩)	مناقضة المعنى الشعري عند القدماء: مقارنة حجاجية د. محمد بن سعيد اللويحي	٤٨٧
(١٠)	قواعد التمييز بين السرقات الأدبية قديماً وحديثاً د. مسلم عبيد الرشيد	٥٥١
(١١)	التماثل والتقابل في شعر حاتم الطائي (دراسة وصفية إحصائية) د. نوف بنت سالم الشمري	٦١٣

الحجاجُ المُسكَّتُ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ فِي نَمَازِجٍ مِنْ أَدَبِ الْأَخْبَارِ

The Convincing Narration of the Verses of the
Qur'an in Models of Narration Literature

أ.د. النوراني عبد الكريم كبور جبير

أستاذ البلاغة بجامعة القصيم بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية اللغة العربية

والدراسات الاجتماعية

البريد الإلكتروني: kabourn@yahoo.com

مستخلص

تندرج هذه الدراسة في سياق الكشف عن تشكيل آليات حجاجية من خلال إيراد آيات قرآنية في مقامات خطابية بعينها. وللحجاج حضور لافت في الدراسات البلاغية الحديثة، ويكتسب هذا الحضور أهمية خاصة حين يتعلّق الحجاج بالنص القرآني المقدّس الذي لا يأتيه الباطل، وحين تتعلّق المقاربة بالتراث العربي في جانبه الأدبي الذي يرمي إلى الإقناع.

وتهدف هذه الدراسة إلى معالجة الظواهر الإقناعية عن طريق الوقوف على الأغراض البلاغية المستفادّة من قصديّة المتكلم من النصوص القرآنية: البرهانية والخبرية التي يستشهد بها، وأثرها في حمل المتلقي على الإذعان والانقطاع عن المحاجة، كما تهدف إلى بيان أوجه الإقناع في النصوص القرآنية للمتكلّم من واقع المقامات الخطابية والقضايا المطروحة محور الجدل والمحاجة، ومرامي المتكلم البلاغية التي يستندج بها المتلقّي إلى التسليم والاقتراع.

وانتهجت هذه الدراسة المنهج التحليلي لرصد الملامح الحجاجية ومقاصدها في أدب الأخبار مستثمرة المسار اللغوي بمعطياته الدلالية، والمسار البلاغي بمعطياته الجمالية والتأثيرية. وقد توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها: الحجّة المسكوتة قد تكون خبرية لأجل التذكير أو التنبيه أو إفادة معرفة جديدة يجهلها المتلقّي أو غفل عنها، وقد تكون برهانية تقوم على المماثلة والقياس وهنا تكون وجه المماثلة برهاناً قوياً للإيحاء والتأثير وفيها تكمن الحجّة التي تسكت المتلقي، وقد تكون موهمة تنحو نحو السفسطة وتعمل على إقناع المتلقّي بغير مقصد الآية.

الكلمات المفتاحية: المسكوت، الحجاج الخبري، الحجاج البرهاني، المتلقّي.

Abstract

This study falls within the context of revealing the formation of narrative mechanisms through the inclusion of Quranic verses in specific discursive contexts. Narration has a remarkable presence in modern rhetorical studies. This narration acquires special importance when it relates to the sacred text of the Qur'an, which is not subject to falsehood, and when the approach relates to the Arab heritage in its literary aspect that aims at convincing.

This study aims at addressing the convincing phenomena by examining the rhetorical purposes learned from the intention of the speaker, from the Qur'anic texts: the demonstrative and the declarative that he cites, and their impact on compelling the recipient to acquiesce and stop narrating. It also aims at clarifying convincing viewpoints in the Quranic text of the speaker in accordance with the reality of the discursive contexts and the issues raised are the focus of controversy and narration, and the rhetorical goals of the speaker which he lures the recipient to acceptance and convincing.

This study adopts the descriptive approach to monitor the narrative features and their purposes in news literature, investing the linguistic track with its semantic data, and the rhetorical track with its aesthetic and affective data.

The study concludes with important findings. The most important of which are: The convincing narration can be declarative for the sake of reminding or alerting, or stating new knowledge that the recipient is ignorant of or overlooked. It can also be demonstrative on the basis of parallelism and measurement in this respect the parallelism perspective becomes strong demonstration of allusion and affective. Here lies the narration which convinces the recipient and can also be a delusion that tends towards sophistry and works to convince the recipient far from the intent of the verse.

Keywords: convincing narration, declarative narration, demonstrative narration, the recipient.

المقدمة

شهدت الدراسات البلاغية في الآونة الأخيرة نهضة نوعية تحت مظلة الدعوة إلى البلاغة الجديدة؛ التي اهتمت بالوسائل والتقنيات الإقناعية في النصوص، وقد أسهمت المناهج اللسانية والتداولية في انبلاج فجر هذه البلاغة.

وتعتبر دراسة الحجاج والغوص في محيطه الشاسع ثمرة من ثمار هذا التحول الكبير والمتسارع للدرس البلاغي في ثوبه الجديد، الذي فتح الباب واسعاً لتقديم طروحات علمية تتجاوز القيم المعيارية للبلاغة التراثية إلى أخرى مغايرة، فرضتها التحولات الفكرية في العصر الحديث التي أخذت تنحو نحو الحوار والإقناع في خضم هذه الحياة المائجة بمختلف التقاطعات الفكرية والقيمية.

وقد تعددت تعريفات الحجاج بتعدد الخلفيات المعرفية، والمرجعيات العلمية، والتصورات النظرية، فلم يستقر مصطلح الحجاج ومفهومه حتى عصرنا الحاضر، وتجنباً للخوض في استعراض تلك التعريفات ومناقشتها لضيق المقام عن الإطالة، ويمكن الاستئناس بتعريف يخدم فكرة هذه الدراسة؛ هو تعريف أورده هشام الريفى: "الحجاج في أعم تعريفاته: العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية"^(١).

فالحجاج مرتبط بالاستخدام اللغوي، واللغة من أهم أدوات التواصل بين الأشخاص، وهي تأتي في مستويات حسب المواقف وسياقات التخاطب، وأفواها تلك التي تحتوي على روابط حجاجية تدعم مواقف قائلها بهدف إقناع المتلقي؛ فتغير اعتقاده

(١) الريفى، هشام، "الحجاج عند أرسطو"، بحث منشور ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، مكتبة الآداب، منوبة؛ المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، المجلد (x×x×x)، تونس، (١٩٩٨م): ٣٥٠.

أو وجهة نظره، أو تدعم فكره فيثبت على موقفه؛ فجمال الكلام البلاغة، وجمال البلاغة "البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة"^(١).

والحجاج مرتبط بالوظيفة الإقناعية "إقناع وإلقاء، واحتجاج ومناظرة"^(٢)، وذلك وفق المقومات الحجاجية في النص؛ والمقومات الحجاجية هي التي تعمل على التحكُّم أو التأثير في المتلقي عن طريق اللغة، فلا يتحقق الحجاج إلا بممارسة اللغة^(٣)، ولذا فإن محاولة تغيير قناعة متلقي ما أو تثبيته على قناعته، أو زيادة درجة تلك القناعة يصدر - بالضرورة - عن متكلم، والقرآن الكريم من أقوى النصوص اللغوية التي تحمل طاقات حجاجية متجددة.

واستناداً على قول محمد القاضي إنَّ أساس القصص القديمة هو الأخبار: "الخبر شكل أساس من أشكال القص العربي القديم"^(٤). فإن الباحث يرى أن أدب الأخبار هو بنيات سردية ترد في بعض كتب الأدب العربي سواء المتخصصة في الأخبار الأدبية أو التي تجمع أشتاتاً من مختلف علوم اللغة والأدب، وكثير من كتب الأدب العربي تزخر بالأخبار الأدبية التي حرص مؤلفوه على تضمينها في تلك المؤلفات، وهي قصص حملت تجارب وخبرات وفكاهة، جمعت بين الفائدة العلمية والمتعة الفنية.

(١) الجاحظ، عمرو بن بحر، "البيان والتبيين". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الجليل، بيروت - لبنان، بدون تاريخ)، ١: ٨٨.

(٢) طلبة، محمد سالم الأمين، "الحجاج في البلاغة المعاصرة"، (ط ١، بيروت: دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٨م)، ٢١٢.

(٣) الولي، محمد، "مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان". مجلة عالم الفكر، مجلة دورية محكمة تصدر عن المركز الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، م ٤٠، ع ٢٤، (٢٠١١م): ١٢.

(٤) القاضي، محمد، "الخبر في الأدب، دراسة في السردية العربية". (ط ١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م)، ٤٣٢.

الحجاج المسكوتُ بآياتِ القرآنِ في نماذجٍ من أدبِ الأُخبارِ، أد. النوراني عبد الكريم كبور جبير

وتطرح هذه الدراسة بعض التساؤلات منها: ما أنواع الحجج المسكوتة بالآيات القرآنية التي وردت في أدب الأخبار؟ وما دور سلطة النص القرآني في تشكيل قناعة المتلقي؟ وما قيمة هذا النوع من الحجج؟ وهدفت الدراسة إلى معالجة الظواهر الإقناعية عن طريق الوقوف على الأغراض البلاغية المستفادة من قصديّة المتكلم من النصوص القرآنية وأثرها في حمل المتلقي على الإذعان والانقطاع عن المحاجة، كما تهدف إلى بيان أوجه الإقناع في النصوص القرآنية للمتكلم حسب المقامات الخطائية والقضايا المطروحة محور الجدل والمحاجة، ولتحقيق تلك الأهداف انتهج البحث المنهج التحليلي للنماذج المختارة. واعتمد الباحث في اختيار النصوص - موضوع الدراسة - على التي تُخدم غرض الدراسة وأهدافها؛ فجمع المادة باستقراء مراجع عديدة، وانتقى منها ما اشتملت على محاجة بالآيات القرآنية.

وقد قسم البحث إلى: مقدّمة وتمهيد، وثلاثة مباحث، تناول في المبحث الأول: النص الحجاجي البرهاني، وفي المبحث الثاني: النص الحجاجي الخبري، وفي المبحث الثالث: الحجج الموهمة، ثم خاتمة، وفهرس المصادر والمراجع. وهذه الدراسة لا تقتصر على المواقف التي وردت فيها الآيات القرآنية بنصّها فحسب؛ بل اتّسعت لتشمل ما ورد الحجاج فيه عن طريق الإشارة إلى خبر مذكور في القرآن، أو عن طريق الاقتباس من القرآن.

التمهيد

مفهوم الحجاج المسكت:

يعني الباحث بالحجاج المسكت: الحجاج القائم على حجة دامغة تفحم المتلقي وتجعله عاجزاً عن مقارعة الحجة. والإسكات هنا: عدم التكلّم بما يدحض الحجة الماثلة وليس الإسكات عن التكلّم مطلقاً بعد إقامة الحجة؛ لأنّ المتلقي قد يتكلّم إقراراً عن اقتناعه، أو امتعاضاً، ونحو ذلك، ولكنه ينصرف عن مقارعة الحجة ومدافعتها. والقرآن نصّ مقدّس لا يرقى إليه الشكّ أو الريبة، فتكون حجته دامغة لمن يُحسن إيراد آياته في المواطن الملائمة واللائقة؛ فتقطع دابر كلّ محاجّ، أو تغيّر قناعة كل متذوّق لمعانيه وبلاغته المبهرة.

وللحجاج المسكت حضور في القرآن الكريم؛ ففي قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام والنمرود بن كنعان نموذج للحجاج المسكت؛ فقد ادّعى النمرود الربوبية؛ فحاجّ إبراهيم عليه السلام في ذلك، في سورة البقرة الآية ٢٥٨: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ ﴿٢٥٨﴾؛ فقد قال له عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ﴿٢٥٨﴾ فردّ عليه النمرود بحجة مضادة على سبيل التحدي ﴿قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾ ﴿٢٥٨﴾ وأحضر رجلين قتل أحدهما وأبقى على حياة الآخر ظناً منه أنّ هذه حجة يدمغ بها حجة خصمه، فقال له عليه السلام: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ ﴿٢٥٨﴾، وهنا هُتّم النمرود ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢٥٨﴾ فلم يتمكن من مقارعة هذه الحجة الباهرة المسكتة، فوجم وانقطع، وضلّت عنه كل حجة، فكان الانبهاث والسكوت. والحجاج المسكت يعبر عن حضور الذهن، والمقدرة على مبارزة حجة الخصم بما

الحجاج المسكوتُ بآياتِ القرآنِ في نماذجٍ من أدبِ الأُخْبَارِ، أد. النوراني عبد الكريم كبور جبير

هو أقوى وأشمل، بناءً على نقاط ضعف في حجّة الخصم، وهي لا تبيّن - إلا مصادفة - لمن لا يتمتّع بالميزات السابقة.

والحجّة المسكوتة بآيات القرآن تكون كالقارعة أو الصاعقة التي لا يجد الخصم مناصاً للردّ، وذلك لقوّة الدلالة، وبلاغة المعنى، وحسن الاستشهاد، ولما للنصوص المقدّسة من أثر قوي في النفوس.

الحجاج بالآيات القرآنيّة:

يأتي الحجاج بالآيات القرآنية في سياق الاستدلال المنطقي؛ بحيث يعمل النص القرآني على إعادة تشكيل الحقيقة في ذهن المتلقّي عبر سلسلة من العلاقات التفاعليّة، بين مقصد الآية والقضيّة المطروحة، التي تعمل على بناء تصوّر مغاير لما استقرّ في نفس المتلقّي الذي ربما يبيّن رأيه وموقفه على معتقدات غير صحيحة، يقول روبر مارتن: "إنّ هناك قضايا يعتبرها المتكلّم صحيحة لحظة تكلمه، وكذا الحال بالنسبة إلى القضايا الخاطئة"^(١)، كما أنّ بعض الحقائق قد تكون غائبة، أو صعبة التصديق، فتكون مثار نزاع واختلاف؛ فتأتي الآية لتثبت صحة الحقيقة وتجسّدتها؛ فيتقبلها الفكر أو يرفضها، والحجّة دعم للكلام ومقاصده فتعمل على تقوية الحقيقة.

ويمكن تقسيم النصوص الحجاجيّة بحسب هذه الدراسة إلى قسمين:

١- النص الحجاجيّ البرهانيّ:

هو نص يتناول الحقيقة بخطوات البرهنة والاستدلال، والقياس والمماثلة، عن طريق ربط الأفكار وتسلسلها، ويهدف إلى إقناع المتلقّي بفكرة معيّنة عن طريق إحداث أثر ما فيه^(٢)، وهذا النوع من الحجاج يميل فيه المتحدّث إلى عقد ماثلة أو مشابهة بين واقعة

(١) حبّاشة، صابر، "التداوليّة والحجاج مدخل ونصوص". (دمشق - سوريا، سنة ٢٠٠٨م)، ١٧.

(٢) عبد الباقي، مهناوي، "في البلاغة العربية وشعرية الخطاب"، ٢٣١.

ما، وقصة أو مثل قرآني، وهذه المماثلة والمشابهة يكون ربطاً بين شيئين لإقناع المتلقي بفكرة تؤيدها تلك المماثلة أو المشابهة، يقول الجرجاني: "والتشبيه قياس، والقياس فيما تعبه القلوب، وتدركه العقول، وتستفتي فيه الأفهام والأذهان لا الأسماع والأذان"^(١). ويؤكد الباحث طه عبد الرحمن على دور القياس والمماثلة في الإقناع، ويعتبرها من أبرز الوسائل الإقناعية التي لها فعالية استدلالية في الحجّة^(٢)؛ لتكون أكثر نجاعة وإقناعاً، فالمتكلم يمدد حُكْم الأصل على الفرع إثباتاً ونفيّاً، والحجاج بالآيات القرآنية التي نحن بصدد دراستها تقوم في أوجه منها على القياس والمماثلة في إقناع الخصم وإفحامه، إذ تأتي الآية كمقدمة يقينية لتوصل المتلقي إلى نتائج جازمة قاطعة^(٣)، وتكون ثمّة مقنعة مسكّنة. وهو يختلف عن الحجاج الخبري في كونه يعتمد على البرهنة في الإقناع.

٢- النص الحجاجي الخبري:

هو نص يرمي إلى الإقناع عن طريق الخبر وما في من تنبيه وتذكير؛ فهو يرمي من ناحية إلى نشر المعرفة والعلم، ومن ناحية أخرى إلى إخبار المتلقي بأمر يجهلها في حجاجه^(٤)، وهنا تأتي الآية القرآنية حجة خبرية حيث يحدث تغييراً في فناعة المتلقي عن طريق التذكير ليرتدّ العقل إلى طريق الحق؛ فتكون حجة على خطأ المتلقي، أو لتثبيت حكم لم يكن متثبتاً منه.

-
- (١) الجرجاني، عبد القاهر، "أسرار البلاغة". (لبنان: دار المعرفة، بدون تاريخ)، ١٠٨.
- (٢) عبد الرحمن، طه، "في أصول الحوار وتحديد الكلام". (ط ٢، الدار البيضاء - المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م)، ٩٨.
- (٣) حبنكة، عبد الرحمن حسن، "ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة". (ط ٦، دمشق - سوريا: دار القلم، ٢٠٠٦م)، ٢٩٦.
- (٤) الدريدي، سامية، "الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري". (ط ١، بيروت: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠١م)، ٦ وما بعدها.

الحجاج المسكوتُ بآياتِ القرآنِ في نماذجٍ من أدبِ الأختبار، أد. النوراني عبد الكريم كبور جبير

والحجاج الخبري في عمومهِ لا يقوم على مجرد التبليغ، أو إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام، فله فوق كل ذلك وظيفة إقناعية؛ فشاييم بيرلمان يرى أنّ الحجاج في النص الخبري ليس مجرد فكّ لرموز، أو إفادة المخاطب بمقاصد الكلام، بل يرمي إلى الإقناع بوجهة نظر معيّنة يدعمها النص^(١).

المتلقّي:

الحجاج بالقرآن يأتي استجابة لقراءة نفسية المتلقّي وفق طبيعة الموقف، ليجعل للآية الأثر المرجو في إحداث التغيير، وهنا يتحد ما يلزم إقناع المتلقّي مع نوعية الخطاب والاستدلال الكامن فيه في سياق بنية لغوية مفحمة لا تدع للمتلقّي مجالاً للردّ أو المقارعة بالحجج "فليس الحجاج في النهاية سوى دراسة لطبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها والإصغاء إليها، ثم محاولة حيازة انسجامها الإيجابي والتحامها مع الطرح المقدم، فإن لم تُوضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية في الحسبان فإنّ الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير"^(٢)، فمراعاة الجوانب النفسية والثقافية هي التي توطّر لإنتاج خطاب حجاجي قوي التأثير، له دور في إقناع المتلقّي وإفحامه وإسكاته، وليس من قبيل التحديّ فحسب وإنما لقوّة الحجّة في ذاتها.

والحجاج في القرآن ينهض على التصوّر العقلي والبعد العاطفي الذي يجعل للنص سلطة إقناعية؛ فالخطاب العقلي يعتمد على البرهنة، والبرهنة أبعد قليلاً عن ميادين الحجاج، ولكن حين تتحد مع البعد العاطفي تقوّي الطاقة الحجاجية؛ فبلاغة أي خطاب يرتبط بالإنارة والإقناع اللذين يدفعان نحو استمالة المتلقّي، والتأثير على وعيه

(١) طلبية، "الحجاج في البلاغة المعاصرة"، ٩٨.

(٢) محمد الأمين، محمد سالم ولد، "مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة"، مجلة عالم الفكر، دورية محكمة تصدر عن المركز الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٨م، ٣٤، (٢٠٠٠م): ٦٨.

الفكري وإحساسه العاطفي.

والناحية العاطفية في النص القرآني لا تقوم فقط على الترغيب والترهيب والأساليب البلاغية في التعبير والتصوير، وإنما تقوم كذلك على سلطة النص باعتباره مقدساً لا يرقى إليه الشكّ أو الخطأ في ذاته؛ فالتقديس المطلق يستحوذ على العاطفة والعقل، والحجاج بالآيات وما فيه من استشهاد يرمي إلى توضيح قاعدة ما وتكثيف حضور الأفكار في الذهن، وشحذ عوامل القبول والاقناع؛ فيكون له الأثر الفاعل في نفس المتلقي؛ فالقرآن يقدم حججاً قرآنية في أعلى المستويات لمن يحسن إيرادها في مواضعها المناسبة فتكون حاسمة.

وانسجام الآية مع الموقف سواء من حيث المماثلة والقياس، أو من حيث الطرافة، أو الحكم الشرعي هو الذي يشعل فتيل الانفعال؛ فتقرع أبواب القناعات بعنف، مع الأخذ في الاعتبار تفاوت الآيات في هذا المضمار بين العاطفية والعقلية، والمعول عليه هو مقدرة المتكلم على استثمار معطيات الآية حسب الموقف ليجعل منها حجة دامغة مُسكّنة للمتلقي.

وعليه فإنّ الحجاج المسكت بالقرآن يبنى على مراعاة ميول المتلقي، وهذا هو الجانب الأهم في البلاغة عموماً؛ فالغاية هي التأثير في المتلقي وبدون هذا المتلقي لا تكتمل العملية الحجاجية في سياق التواصل؛ فلا قيمة للحجاج ما لم تكتمل فيه أركان العملية التواصلية، والحجاج خطاب بين متحدث وملتقٍ، وعلى المتحدث مراعاة المتلقي؛ فالمقومات الحجاجية لا تتكشف إلا من خلاله، فعلى المتكلم مراعاة المنافذ والاطّلاع على المداخل التي تضمن له تحقيق التأثير المطلوب، وقد أشار ميشيل مايير إلى هذه النقطة نقلاً عن أرسطو عند حديثه عن (الباتوس) فقال: "وعلى الخطيب أن يراعي

الحجاج المسكوت بآيات القرآن في نماذج من أدب الأختار، أد. النوراني عبد الكريم كبور جبير

أهواء السامعين"^(١)، ويقو في موضع آخر: "والسامعون لا يقوم لهم قيام إلا بوصفهم ذوي أهواء"^(٢)، فالمتكلم أو المحاج يلزمه مراعاة ميول المتلقى لينفذ من خلاله إن أراد لحيته بلوغ الإقناع والإفحام.

فأرسطو يوجه إلى العناية بالمتلقى وأبعاده النفسية والثقافية، وعدم إغفال ذلك، وهذا ما نراه ماثلاً في الحجاج المسكوت؛ حيث يعمد الباث على مراعاة ميول النفس المسلمة إلى القرآن، وتأثيره البالغ فيه، واستسلامه وانقياده الفطري لتوجيهاته، ولعلّ هذا ما دفع البعض إلى الإيهام بالآيات؛ فيجعل منها حجة مقنعة مسكوتة انطلاقاً من هذا المنطق، في حين تكون الآية ومقاصدها بعيدة كل البعد عن مقام الاستشهاد.

إذاً الحجاج المسكوت بالقرآن الكريم يستدعي من المتكلم دراسة طبيعة العقول والنفوس، ثم اختيار أنسب السبل لمحاورتها، وتحقيق انسجامها الإيجابي مع الطرح المقدم لها^(٣)؛ فالهدف الأسمى للخطاب الحجاجي هو الوصول إلى إقناع المتلقى بفكرة قد أخذ منها موقف المتشكك أو الرفض، وإثبات نقيضها، والحجاج المسكوت يقوم بنقض الفكرة المستحوذة على ذهن المتلقى وإحلال المفهوم المغاير - حسب تصوّر المتكلم - فيؤثر في عقل المتلقى وسلوكه.

وهذا الضرب من الحجاج - المسكوت بالقرآن - لن يكون له أثر فيمن لا يؤمن بالكتب السماوية، ومن هنا فهو حجاج له فعالية وخصوصية في فئة معينة من الناس، وعليه فإنّ هذا النوع من الحجاج يقوم بمراعاة هذا الاستعداد النفسي للانفعال والتفاعل بالقرآن الكريم، فالحجة القرآنية لا يمكن نقضها إلا عن طريق المكابرة ممن لا يؤمن بالله

(١) ماير، ميشيل، "البلاغة". ترجمة: محمد أسيداه، (ط١)، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة،

٢٠٢١م، ٣٣.

(٢) ماير، "البلاغة"، ص ٣٠.

(٣) ولد محمد الأمين، "مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة"، ٦٨.

تعالى أو من المنافقين أو الجهّال، وعلى المتكلم توظيف الآية توظيفاً سليماً لدفع الجحود والشكوك أو التردّد لدى المتلقّي، ويرى أرسطو شرط تهيئة السامع واستدراجه نحو الأمر^(١) هو موضوع الحجاج.

الحجّة:

الحجّة هي الدليل الذي يستند إليه المتكلم - بعد مراعاة السياق - في دحض حجّة المتلقّي، يقول أبو بكر العزاوي: "الحجّة عنصر دلالي متضمّن في القول، يقدّمه المتكلم على أن يخدم ويؤدّي إلى عنصر دلاليّ آخر، والذي يصيّرهما حجّة أو يمنحها طبيعتها الحجاجيّة هو السياق؛ فما يمكن أن يكون حجّة في هذا السياق قد لا يكون كذلك في سياق آخر حتى لو تعلّق الأمر بنفس المحتوى"^(٢).

والحجّة حتّى تكون ذات أثر وفاعليّة لا بد أن يفهمها المتلقّي ويعقلها لتتمكّن من نفسه فتحدث الأثر المنشود، فمن لم يفهم مضمون الحجّة لم تقم عليه، والحجّة المسكّنة بالقرآن تجيء في مقام الاستشهاد عن طريق التمثيل والقياس، أو التذكير والتنبيه، وقد يستتبع المتكلم ذلك بشيء من البيان والتوضيح لتكون حجّته واضحة بليغة بقصد إقناع المتلقّي بالحجّة المفحمة، والحجّة القرآنية هنا لا تترك مجالاً للمتلقّي، وهذا ما أسماه بيرلمان بالحجاج القانوني الذي يقصد به محاكاة الخصم بقصد الإقناع، ويذهب إلى أنّ المنطق القانوني هو البلاغة الجديدة^(٣) فتنوّع التقنيات الحجاجيّة في الآيات القرآنيّة التي تعمل على تشكيل مفهوم أو مفاهيم توافق هوى المتلقّي أو تخالفه،

(١) بدوي، عبد الرحمن، الخطابة، "أرسطو طاليس". تحقيق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الكويت، (١٩٥٩م)، ٩.

(٢) العزاوي، أبو بكر، "اللغة والحجاج". (ط١، الدار البيضاء - المغرب: دار العمدة، ٢٠٠٦م)، ١٢٧.

(٣) حجّار، الطاهر، "مجلّة اللغة والآداب"، وعبد القادر هني، وآخرون، جامعة الجزائر، ١٧ع، (٢٠٠٦م): ١٧.

الحجاج المسكوتُ بآياتِ القرآنِ في نماذجٍ من أدبِ الأُخْبَارِ، أد. النوراني عبد الكريم كبور جبير

ولكنها في النهاية دامغة مُسَكِّتة.

الحجاج الموهوم:

نظراً لما للقرآن من سلطة سامية في نفوس المؤمنين، ولآلياته الحجاجية والبلاغية التي تستحوذ على النفوس، وما جُبلت عليه النفوس من تهيّبه؛ فقد لجأ البعض إلى الحجاج الموهمة التي تهدف إلى إقناع المتلقي وإفحامه بالآية دون أن تكون للآية صلة بالموقف أو القضية المطروحة محور الحجاج؛ سواء من حيث المعنى، أو الحكم، أو القياس والمماثلة، فالمتحدّث يعتمد على بعض العلاقات الشكلية مثل الألفاظ أو الجمل المشتركة بين النص القرآني وكلام المتلقي أو حاله؛ فيوهمه بأن الآية حجة في تلك المسألة؛ فيستسلم المتلقي، وينقطع عن الحاجة. وهذا أقرب إلى السفسطة^(١) من حيث الإيهام والإقناع بغير الحقيقة، ومحاولة تضليل المتلقي عن طريق استغلال عاطفته الدينية، أو ضعف مستواه الإدراكي، أو قلة عقله، وهؤلاء مثل السفسطائيين الذين مارسوا الحجاج واتخذوها وسيلة لتحقيق غاياتهم فانتهجوا التضليل والإيهام وسيلة^(٢).

(١) انظر على سبيل المثال: فضل الله، هادي، "السفسطائية من وجهة نظر منطقية"، الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، م١٢، ٩٩٤، (٢٠٠٠م)، ١٥٨، الراضي، رشيد، "الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار". (ط١، بيروت - لبنان: دار الكتاب الجديدة، ٢٠١٠م): ١٢ وما بعدها.

(٢) حمداوي، جميل، "من الحجاج إلى البلاغة الجديدة". (الدار البيضاء - المغرب: دار إفريقية الشرق، بدون تاريخ)، ٦٧.

المبحث الأول: الحجاج البرهاني

هو الحجاج الذي يقوم على البرهنة عن طريق القياس والمماثلة بين النص القرآني والواقعة أو القضية المطروحة محور المحاجة؛ فيكون وجه المماثلة أو القياس استدلالاً حججياً قوياً للتأثير.

١- "قال الشعبي: شهدتُ شريحاً وجاءته امرأةٌ تخاصم رجلاً؛ فأرسلت عينها فبكت، فقلت: يا أبا أمية! ما أظنّ هذه البائسة إلا مظلومة، فقال: يا شعبي، إنّ إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاءً يكون" (١).

إنّ الحجّة التي قدّمها الشعبي لنصرة المرأة والتأثير على القاضي هي دموع المرأة التي أقيمت الشعبي بأنّها بائسة مظلومة، وقد تشكّل هذا الرأي في نفسه فانبرى للدفاع عنها، فردّ عليه القاضي بتلك العبارة التي تشير إلى قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ (٢) لمحاجة الشعبي ودفع ما توهمه من براءة المرأة، وهي حجّة تقوم على الربط بين حال إخوة يوسف عليهم السلام عندما اقترفوا الجرم وجاءوا بدموعاً كاذبة ويصطنعون حزناً لإقناع أبيهم براءتهم، وحال هذه المرأة التي قد تكون اقترفت الجرم وأرسلت دموعها لإيهام القاضي ببراءتها.

يرمي القاضي الشعبي بهذه الحجّة التي قصد منها زعزعة قناعته ببراءة المرأة؛ فهو لم يقل بأنّها كاذبة، ولكنّه جاء بمعنى التكذيب من خلال هذا الجانب من أحداث القصة التي تعبّر عنها الآية الكريمة، والآية تصوّر جانباً من محاولة الخداع والمكر عن طريق استغلال العاطفة، وهي حجّة بيّنة مسكّنة للشعبي وللمرأة، وهكذا برهن شريح

(١) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، "أخبار الأذكىاء". (ط١، بيروت:

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م)، ٩٦.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٦.

الحِجَابِ الْمَسْكُوتِ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ فِي نَمَاذِجٍ مِنْ أَدَبِ الْأَخْبَارِ، أَد. النوراني عبد الكريم كبور جبير

القاضي على عدم براءة المرأة عن طريق المماثلة؛ فكانت حجة قاصمة للشعبي. والشعبي بنى قناعته ببراءة المرأة على الدموع التي أرسلتها؛ فجاءت حجة القاضي داحضة للأصل الذي شكّل قناعة الشعبي وعمل على تضعيف هذا الرأي وتغيير قناعة صاحبه. وإن كانت هذه الآية تمثل المرأة بدور إخوة يوسف عليه السلام من حيث اقتراف الجرم وادعاء البراءة؛ فمن البديهي أن يبرز الشعبي في دور يعقوب عليه السلام الذي حاول أبناؤه خداعه بالدموع الكاذبة، وهذه حجة مضمّنة في ردّ القاضي رمى بها في وجه الشعبي ليرتدّ بصيراً للحقّ.

٢- "قيل إنّ أبا العيناء شكّا تأخّر رزقه إلى عبيد الله بن سليمان، فقال: ألم يكن كتبنا لك إلى فلان، فما فعل في أمرك؟ قال: جرّني على شوك المطلق، قال: أنت اخترته، قال: وما عليّ وقد اختار موسى سبعين رجلاً فما كان فيهم رجل رشيد! فأخذتهم الرجفة، واختار رسول الله ابن أبي السرح كاتباً فلحق بالكفار مرتدّاً! واختار عليّ أبا موسى الأشعري فحكم عليه"^(١).

عبيد الله بن سليمان يحاجّ أبا العيناء في شكواه؛ ويحيل الأمر إلى أنّه - أي: أبي العيناء - من اختار من يوكل إليه رزقه، وعليه تحمّل تبعات هذا الاختيار، وأرسلها حجة يقنع بها أبا العيناء وأنّه لا حاجة له عنده، ولكن أبا العيناء حاجّه بما أسكته؛ فقد أشار إليه إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخْبَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَآئِنِّي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾^(٢)، وهؤلاء السبعون الذين اختارهم موسى

(١) ابن الجوزي، "أخبار الأذكىاء"، ٩٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.

لِيَعْتَذِرُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ عِبَادَةِ الْعَجَلِ هُمْ مِنْ خِيَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَسَفَهُوا وَتَعَنَّتُوا وَطَلَبُوا سَمَاعَ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَلَمَّا سَمِعُوهُ طَلَبُوا أَنْ يَرَوْا اللَّهَ تَعَالَى جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ فَمَاتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ^(١).

وهذا اختيار نبي من أنبياء الله تعالى، وقد اختار من الخيار والصفوة فخيّبوا ظنّه فيهم، ولم يكونوا كما توسّم فيهم الخير، وهي حجّة دفع بها أبو العيّن إلى محابّه فأسكته بها، وهذه الحجّة قويّة مسكّنة، واكتسبت قوتها من عقد المماثلة بين حال النبي موسى عليه السلام وحال أبي العيّن؛ حين اختار كلّ منهما ما اعتقد فيه الخير ولم يكن الاختبار موفّقاً وتعرض كلاهما للخذلان والخيبة، ومع ذلك استرسل أبو العيّن في ذكر حجج مماثلة تقوي حجّته القاطعة.

٣- "أحضر هشام بن عبد الملك إبراهيم بن أبي عبلة فقال له: قد وليتك الخراج بمصر. فأبى إبراهيم؛ فغضب هشام، فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٢)، فوالله ما أكرهنّ ولا سخط عليهنّ، ولقد ذمّ الإنسان لما قبلها"^(٣).

عمد إبراهيم إلى البرهنة عن طريق القياس؛ فقد قاس حاله وقد عُرضت عليه أمانة الخراج بحال السماوات والأرض والجبال التي عُرضت عليها الأمانة، والوجه المشترك هو الاعتذار عن حملها، والحجّة هنا أنّ الله تعالى لم يغضب عليها ولم يلزمها حملها. إبراهيم عُرضت عليه أمانة وهي منصب الخراج، وما فيه من المال والجاه؛ فاعتذر،

(١) بن كثير، إسماعيل، "قصص الأنبياء". تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (ط٣)، مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، ٤٣٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٣) ابن الجوزي، "أخبار الأذكىاء"، ١٨٠-١٨١.

الحجاج المسكوت بآيات القرآن في نماذج من أدب الأختبار، أد. النوراني عبد الكريم كبور جبير

وكذا السماوات والأرض والجبال أبين أن يحملن الأمانة فلم يغضب عليها الله تعالى - كما هو واضح من ظاهر الآية، وكذلك على الخليفة قبول عذره بلا عتب أو غضب؛ فالآية وصفت الإنسان بأنه ظلوم جهول عندما قبل الأمانة، وهو - إبراهيم - لم يقبلها، ومن ثم فهو خارج نطاق ذلك الوصف، وهذه حجة مسكوتة، وربما أذهلت الخليفة وأخجلته.

٤- "لما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة دمشق^(١) كتب إليه ملك الروم: إِنَّكَ قد هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها، فإن كان حقاً فقد أخطأ أبوك! وإن كان باطلاً فقد خالفته. فكتب إليه: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾" (٢).

أراد ملك الروم برسالته هذه إقامة الحجّة على الوليد بن عبد الملك بخطأ ما قام به من هدم كنيسة دمشق، بل جعل الخطأ إمّا عليه وإمّا على أبيه الذي لم يقدم على هدمها، وخيار الإبقاء هو الأحبّ إلى ملك الروم، ولذا فهو يقيم الحجّة على الوليد بأنّه أخطأ؛ فرأى الأب - حسب الاعتقاد العام، وكما عند ملك الروم - يُبنى على الصواب والحكمة النابعتين من تجارب الحياة، ويُعدّ التّظنر.

وانطلقت حجّة الوليد من حجّة ملك الروم الذي يرى أنّ حُكْم الأب يتفوّق على حُكْم الابن في المسألة الواحدة، فكتب الوليد إلى ملك الروم بهذه الآية التي فيها

(١) الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، "عيون الأخبار". تحقيق: منذر محمد سعيد

أبو شعر، (عمان: المكتب الإسلامي، ٢٠٠٨م)، ١: ٢٩٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧٨-٧٩.

حجة بالغة؛ فهي تبين أنّ الأمر ليس دائماً كما يظنّ ملك الروم؛ فسلیمان بن داؤود عليه السلام حكم بأحسن من حُكْم أبيه، وهنا يقيس الوليد هذه الواقعة بواقعة سليمان ووالده داؤود عليه السلام كما حكمتها الآية؛ بغرض إقامة الحجة على خطأ اعتقاد ملك الروم، وهذه الآية تحمل طاقة حجاجية كبيرة تكفي لإخضاع ملك الروم لها وإلزامه بها، فهذان نبيان من أنبياء الله تعالى، ومع ذلك حُكْم الأب أولاً ثم حُكْم الابن فأحسن. وكأني بملك الروم قد اربدّ وجهه، وغشيه من يمّ الغم ما غشيه.

٥- "قال أبو جعفر المنصور لمسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي: ما ترى في قتل أبي مسلم؟ فقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٢٢) (١)، فقال: حسبك يا أبا أمية" (٢).

يبدو أنّ أبا جعفر المنصور قد عزم على قتل أبي مسلم الخراساني، وعندما استشار مسلم بن قتيبة أراد أن يستوثق من رأيه الذي قرّ عليه، فأراد مسلم أن يثبتته على رأيه ويزيد من درجة قناعته؛ فتلا هذه الآية التي فيها تمثيل بليغ على سبيل القياس، وردّ شافٍ يبعث على الاقتناع؛ فأكثر من إله في الكون يفسد الكون بسبب التنازع واستعلاء بعضهم على بعض بالقهر والغلبة، وهذه إشارة إلى أنّ وجود أبي مسلم في الدولة إلى جانب أبي جعفر سيكون سبباً في فساد الدولة بالصراع والنزاع، وهو بذلك يشير إلى أنّ أبا مسلم سوف ينازعه السلطة، وهو قائد شديد المراس، تحت إمرته جيوش متمرسّة بالحرب، وفي هذا تحذير ضمنّي لأبي جعفر من خطر هذا الرجل، وإيماء واضح للقضاء عليه قبل أن يسبق السيف العذل. فهذه الآية قامت حجة دامغة تزيد من درجة يقين أبي جعفر لإمضاء عزمه في التخلّص من مصدر الخطر والقلق ليخلو له الحُكْم.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

(٢) الدينوري، "عيون الأخبار"، ١: ٤٨.

الحجاج المَسْكُوتُ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ فِي نَمَازِجٍ مِنْ أَدَبِ الْأَخْبَارِ، أد. النوراني عبد الكريم كبور جبير

ومسلم بن قتيبة لم يكتفِ بالحضّ على قتله؛ بل زاد من شكوك المنصور ومن القلق الذي كان يساوره في شأن هذا المنافس القوي والقائد الجسور، فقد أشار إليه أنّ في قتله صلاحاً للدولة، وفي الإبقاء عليه خطراً داهماً له ولدولة بني العباس، وعليه فقد كانت حجته في الحضّ على قتل أبي مسلم قوية مسكتة حتى أنّ المنصور أمره بالإمساك عن الكلام.

٦- "لما ولي الحجاج بن يوسف قال: عليّ بالمرأة الحرورية، فلما وقفت بين يديه قال لها: أنتِ بالأمس في وقعة ابن الزبير تحرضين الناس على قتل رجالي ونهب أموالي، قالت: قد كان ذلك. فالتفت الحجاج إلى وزرائه وقال: ما ترون؟ قالوا: عجل قتلها. فضحكت المرأة، فاغتاظ الحجاج لذلك! وقال: ما أضحكك؟ قالت: وزراء فرعون خير من وزرائك هؤلاء. فالتفت الحجاج إلى وزرائه فأهمّهم قد خجلوا، فقال لها: كيف ذلك؟ قالت: لأنّه استشارهم في قتل موسى عليه السلام فقالوا: أرجه وأخاه، وأنظر إلى وقت آخر، وهؤلاء يسألونك تعجيل قتلي. فضحك الحجاج، وأمر لها بعتاء، وأطلقها"^(١).

استشار الحجاج وزراءه في شأن المرأة الحرورية فأشاروا بتعجيل قتلها والخلاص منها، فأرادت المرأة صرف الحجاج عن الاقتناع برأي وزرائه عن طريق تسفيه رأيهم من خلال استعراض حجة بليغة في هذا المقام؛ حين أشارت إلى قوله تعالى في سياق قصة موسى عليه السلام مع فرعون: ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ۝٢٤ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝٢٥ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝٣٦ ﴾ في مقارنة طريفة وعقد مماثلة بين موقف وزراء فرعون وموقف وزراء الحجاج، مفضلة وزراء فرعون حين أبرزت رؤيتهم وأناهم وحكمتهم في التعاطي

(١) الأبياري، محمد بن أحمد بن إسماعيل، "المختار من نوادر الأخبار". تحقيق: خالد أحمد السويد (ط ١، دمشق - سوريا: دار كنان للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م)، ٦٧-٦٨.

مع أمر موسى عليه السلام.

نجحت هذه الحروية بهذه الحجّة في صرف الحجاج عن الأخذ برأي وزرائه الحمقى، فضحك غبطةً وإعجاباً، وأطلق سراح المرأة بل وأمر لها بصلة، بينما وجم الوزراء ينظرون من طرف خفي، يتمنون لو تسوّى بهم الأرض.

٧- "قال الوليد بن عبد الملك للحجاج في وفدة وفدها عليه، وقد أكلا: هل لك في الشراب؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ليس بحرام ما أحللتها، ولكني أمنع أهل عملي منه، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُمْ عَنْهُ﴾ (١)، فأعفاه" (٢).

توجّه الحجاج بهذه الآية إلى الخليفة ليقتعه بإعفائه من شرب الخمر فأعفاه، وبذلك نجا من معاقرة الشراب، فكانت الآية حجّة أقنعت الخليفة دون حرج أو غضب. وقد عقد الحجاج مماثلة بين موقف شعيب عليه السلام حين أمر قومه بالإقلاع عن بحس الناس أشياءهم وتطيف المكيال والميزان، وموقفه هو حين أمر أتباعه بالإقلاع عن شرب الخمر، ووجه المماثلة أنّ كلاهما لا يريد أن يفعل ما نهي أتباعه عنه.

قد يكون الحجاج لا يشرب الخمر، ولكنّه على كلّ لا يستطيع أن يردّ طلب الخليفة، فإن لم يُجبه لما عرضه عليه فسيجّر عليه ويلات لا قبل له بها، وهو في الوقت نفسه لا يريد أن يشربها، ولم يبق أمامه إلا إقناع الخليفة برفق وبحجّة لا يجد الخليفة فيها مناصاً لمعاقبته؛ فاصطنع ذلك الموقف مستثمراً الآية الكريمة فزعم - والله أعلم - أنّه نهي عمّاله عن شربها، وهو قدوتهم، ولا يريد أن ينهاهم عمّا يُقدّم هو على فعله؛ فكأنّما أراد أن يقول: لا أنهي

(١) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٢) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، "الكامل في اللغة والأدب". علق على أصوله: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط ٣، القاهرة - مصر: دار الفكر العربي، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م)، ٢: ١١٨.

الحجاج المسكوت بآيات القرآن في نماذج من أدب الأختبار، أد. النوراني عبد الكريم كبور جبير

عن فعل وآتي مثله عار عليّ وإن فعلتُ عظيم، ثم دعم كلامه بالآية؛ فجاءت حجة مسكنة فأعفاه الخليفة عن الشراب دون أن يغضب أو يحسن بالخرج.

٨- "أثم جماعة عبيدة بن هلال اليشكري بامرأة رجل حداد رأوه مراراً يدخل منزله بغير إذن، فأتوا قطرياً فذكروا له ذلك، ، فقال لهم: إن عبيدة من الدين بحيث علمتم، ومن الجهاد بحيث رأيتم، فقالوا: إننا لا نقارّه على الفاحشة، فقال: انصرفوا، ثم بعث إلى عبيدة فأخبره وقال، إننا لا نقارّك على الفاحشة، فقال: بهتوني يا أمير المؤمنين فما ترى؟ قال: إني جامع بينك وبينهم، فلا تخضع خضوع المذنب، ولا تتطاول تطاول البريء، فجمع بينهم فتكلموا، فقام عبيدة فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١) ﴿١﴾، فبكوا وقاموا إليه فاعتنقوه، وقالوا: استغفر لنا، ففعل" (٢).

إن جماعة عبيدة حين اتهموه بالفاحشة؛ كانوا على يقين أو على درجة متقدمة من الشك الذي يقرب من اليقين من وقوع صاحبهم في المحذور، ولم يتمكن قطري بن الفجاءة من الدفاع عنه أو تبرير سلوكه هذا، وعندما جمعهم به وواجهوه بما اعتقدوه فيه تلا عليهم الآية، وفيها حجة على براءته، فبكوا وعانقوه.

إن هذه الحجة بليغة من حيث تمثيلها لحال هؤلاء الناس؛ فجماعة عبيدة عصبية، فشبهم بأصحاب الإفك، وكانت جريمة نكراء في الإسلام فالكل ينأى بنفسه من مجرّد

(١) سورة النور، الآية: ١١.

(٢) المبرد، "الكامل في اللغة والأدب"، ٣: ٢٧٧-٢٧٨ - وانظر كذلك: صفوت، أحمد زكي، "جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة". (بيروت - لبنان: المكتبة العلمية، بدون تاريخ)، ٢: ١٦٠.

التشبه بأصحابها، والآية تشير إلى الإثم الذي يكتسبه من ولغ فيه خاصّة من تولى كبر الأمر، والآية تصف مثل هذه المقولات بالإفك، وهذه صفة خطيرة لمن يؤمن بالله تعالى. وقد أثرت هذه الحجّة في نفوس أصحاب عبيدة، وأقنعتهم ببراءته، وانقطعوا عن مجرد المحاجّة، وبكاؤهم دليل ندمهم على ما فرط منهم، بل طلبوا منه أن يستغفر لهم الله تعالى.

٩- "لما توفي السّفاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس عنده يعزّونه، فأنشده قصيدة^(١) في رثاء السّفاح، فأبكى الناس قوله. وغضب المنصور غضباً شديداً وقال: إن سمعتك تنشده هذه القصيدة لأقطعن لسانك. قال: يا أمير المؤمنين، إن أبا العباس أمير المؤمنين كان لي مكرماً، وهو الذي جاء بي من البدو، كما جاء الله بإخوة يوسف إليه، فقل كما قال يوسف: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ

(١) الأبيات هي:

أمسيّت بالأبّارِ يا ابنَ مُحَمَّدٍ	لم تَسْتَطِعْ عَنّ غَيرِها تُحويلاً
وَوَلِيّ عَلِيّكَ وَوَلِيّ أَهلي كُلّهم	ويلاً وَعَولاً في الحَـيَاةِ طويلاً
فَلتَبَكِّينَ لَكَ النِّساءُ بِعَبرَةٍ	ولِيَبْكِينَ لَكَ الرِّجالُ عَـويلاً
من مُجملٍ في الصَّبْرِ عَنكَ فَلَـم يَكُنْ	صَبَري عَلَيكَ غَدَاةَ بِنْتِ جَميلاً
يَجِدُونَ أبدالاً به وأنا امـرؤٌ	لو مَتُّ وَجداً ما وَجَدتُ بَدِيلاً
هَلَكَ التَّدى إذ بِنْتِ لابنِ مُحَمَّدٍ	فَجَعَلتُهُ لَكَ في التُّرابِ عَدِيلاً
إني سَألتُ النَّاسَ بَعَدَكَ كُلّهم	فَوَجَدتُ أَسْمَحَ مَن سَألتُ بَحِيلاً
أَلشَقَوِيّ أُحْرَثُ بَعَدَكَ لِلتي	تَدعُ العَزيزَ مَن الرِّجالِ دَلِيلاً
أَلشَقَوِيّ أُحْرَثُ بَعَدَكَ لِلذّي	يَدعُ السَّمينَ مَن العِيسالِ هَزِيلاً
فَلأَحِلْفَنَ يَمينَ حَقِّي بَرَّةً	باللّهِ ما أُعطيْتُ بَعَدَكَ سُولاً

* أبو دلامة، زند بن جون، "ديوان أبي دلامة". تحقيق: إميل بديع يعقوب، (ط ١)، بيروت: دار

الجيل، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م)، ٩٠ - ٩٢.

الحِجَابِ الْمَسْكُوتِ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ فِي نَمَاذِجٍ مِنْ أَدَبِ الْأَخْبَارِ، أَد. النوراني عبد الكريم كبور جبير

أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٩٢﴾^(١)، فسري عن المنصور وقال له: قد أفلناك يا أبا دلامة^(٢).

إنَّ غضب الخليفة على شاعره أو على أي من ندمائه أو أعوانه قد يجزّ ويلات خطيرة على المغضوب عليه، وأبو دلامة الشاعر يدرك مغبة ذلك، فقد أغضب الخليفة الحديث في توليه مقاليد السلطة عندما رثى سلفه السفاح بقصيدة أبكت الحضور بدلاً من أن يهنئه بتوليّ الخلافة ويمدحه ويتملّقه ويتزلف إليه، فقد تجاهل أمره وانصرف إلى سلفه بمجده ويكيل إليه الثناء، وفلتت منه كلمات قللت من شأن المنصور، ووضعت في موضع وضع.

والغضب يولّد مشاعر سلبية، ويشكّل قناعات ليست في مصلحة المغضوب عليه، وعلى أبي دلامة تغيير الحالة النفسية للخليفة الغاضب لتتغيّر قناعاته فيرضى ويعفو عنه، وهو - والحالة هذه - في حاجة ماسّة إلى حجّة قويّة مسكّنة، تدهش الخليفة وترضيه، فمثل حاله بحال إخوة يوسف عليه السلام الذين جاء بهم من البدو - وهنا استعان بمعنى الآية - ومثل المنصور بدور يوسف عليه السلام في إثارة العفو عن إخوته بدل العقوبة على الرغم من فداحة جرمهم في حقّة، فكانت المماثلة رائعة، والاعتذار لطيفاً، والحجّة مسكّنة مرضية للخليفة، فعفا عنه وأقال عثرته، وبشّره بذلك.

إنّ الحجاج في مثل هذه المواقف إمّا أن تبني على القوة والإفحام، وإما على الطرافة والترقّق، وقد وُفق أبو دلامة في بناء حجّته على الطرافة الناشئة عن براعة المماثلة، وحسن اختيار العناصر المشكّلة للموقف في السياق الحجاجي، فاجتمعت الطرافة وحسن التوسّل، والتلطّف، وبرهن على ضرورة العفو انطلاقاً من موقف يوسف عليه السلام.

(١) سورة يوسف، الآية: ٩٢.

(٢) شمس الدين، إبراهيم، "قصص العرب، الموسوعة الجامعة". (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١٠ م)، ٢: ٤١٤.

١٠ - "قال الشعبي: كنتُ بواسط، وكان يوم أضحي، فحضرتُ صلاة العيد مع الحجاج، فخطب الناس، ولما انصرفت جاءني رسوله، وعندما دخلتُ عليه قال لي: يا شعبي هذا يوم أضحي، وقد أردتُ أن أضحي فيه برجل من أهل العراق من محبي أبي تراب (عليّ بن أبي طالب) وأحببتُ أن تسمع قوله لتعلم أيّ قد أصبتُ الرأي فيما أفعل. فقلتُ: أيُّها الأمير، كان رسول الله ﷺ يضحى بكبش فاستنّ به. فقال: إذا سمعتُ ما يقول صوّبت رأبي فيه لكذبه على الله ورسوله ﷺ وإدخاله الشبهة في الإسلام. ثم أمر الحجاج بالنطع^(١) والسيّاف فأحضرا، فقال: احضروا الشيخ. فأتوا به فإذا هو يحيى بن يعمر، فاغتممتُ غمّاً شديداً، وقلت لنفسي: ماذا فعل هذا حتى يُقتل؟! فقال الحجاج: أنت أفقه أهل العراق. قال: أنا من فقهاءهم. قال الحجاج: كيف زعمتُ أنّ الحسن والحسين رضي الله عنهما من ذرية رسول الله ﷺ؟ قال يحيى: ما أنا بزاعم ذلك، بل قائله بحق. فقال الحجاج: وأي حق؟ قال يحيى: كتاب الله نطق بذلك. فقال الحجاج: لعلك تريد قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٢)، وأن رسول الله ﷺ خرج للمباهلة ومعه عليّ وفاطمة والحسن والحسين؟ قال يحيى: والله إنّها حجّة بليغة، ولكن مع ذلك لا أحتجّ بها. فقال الحجاج: إن جئتَ غيرها من كتاب الله فلك عشرة آلاف درهم، وإلا قتلتك وكنث في حلٍّ من دمك. قال يحيى: نعم، وتلا قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ

(١) النطع: بساطٌ من الجلد، كثيراً ما كان يُقتلُ فوقه المحكومُ عليه بالقتل. معجم المعاني، الشبكة العنكبوتية، مادة (نطع).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

الحِجَاجُ الْمَسْكُوتُ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ فِي نَمَازِجٍ مِنْ أَدَبِ الْأَخْبَارِ، أَد. النوراني عبد الكريم كبور جبير

وَيَعْفُوبٌ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوْحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ
وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى
وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا

وَكَأَلَّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴿١﴾. وحذف (عيسى عليه السلام) من الآية، فقال

الحجاج - وكان حافظاً للقرآن - : وأين تركت عيسى عليه السلام؟ قال يحيى: ومن أين كان
عيسى عليه السلام من ذرية إبراهيم عليه السلام ولا أب له؟ فقال الحجاج: من قبل أمه مريم. قال
يحيى: عيسى عليه السلام من ذرية إبراهيم عليه السلام بواسطة أمه وبينها وبينه ما تعلم من الأجداد،
ولا يكون الحسن والحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة أمهما فاطمة وهي ابنته بلا
واسطة؟ فكأتما ألقم الحجاج حجراً، فأطلقه وأعطاه عشرة آلاف درهم وقال: لا بارك
الله لك فيها" (٢).

أراد (الحجاج) أن يقيم الحجّة على (يحيى بن يعمر) وأن يفتك به، فالرجل من
محي علي عليه السلام ، ويبدو أنّ (الحجاج) مطمئن إلى عدم نجاة الرجل، ولذا فقد أحضر
السيف والنطع، وجعل موضوع الحجاج: القول بنسبة الحسن والحسين عليهما السلام إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأمهما من ذريته.

و(الحجاج) استعرض الآية الأولى التي وردت فيه المباهلة ليقطع الحجّة على
(يحيى)، وإن كان (الحجاج) نفسه يستعدّ لنقض هذه الحجّة المحتملة ولكن ابن يعمر
لم يلق لها بالاً مع اعترافه بأنّها حجّة بليغة، ولعلّ عدم أكثرات (ابن يعمر) بتلك
الحجّة ما أغرى (الحجاج) بأنّ الرجل قد استسلم، فتحدّاه أن يأتي بحجّة غيرها
وجعل إطلاق سراحه ونجاته من القتل مقابلاً لها، فساق (يحيى) حجّته بذلك،

(١) سورة الأنعام الآيات: ٨٤-٨٦.

(٢) شمس الدين، "قصص العرب، الموسوعة الجامعة"، ١: ١٨٧-١٨٨.

واستدرج (الحجاج) من حيث لا يحتسب، فتلا عليه الآية ولم يذكر عيسى عليه السلام، فاستدرك عليه (الحجاج) وسأله عن عيسى عليه السلام وهنا تكمن حجة (يحيى)، فجعل (الحجاج) يعترف بأن عيسى عليه السلام ينتسب إلى إبراهيم عليه السلام عن طرق أمه، فأكد له (يحيى) بأن الحسن والحسين رضي الله عنهما ينتسبان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عن طرق أمهما فاطمة رضي الله عنها. فكانت حجة قوية لم يتمكن (الحجاج) من محاججته، فأعفاه من القتل ومنحه جائزة مالية، ودعا عليه.

الآية في نصّها لم تكن حجة مباشرة ليحيى، ولكن ما فيها من ذكر الأنبياء عليهم السلام مثلت دعماً قوياً للحجة التي بناها قياساً على حال عيسى عليه السلام، وقد ساق حجته بعيداً عن توقعات (الثقفي) حتى لا يقطع عليه الطريق، ونجح في إسكاته، بل والنجاة بحياته، وملاً جيبه من ماله، وردّ الله الحجاج بن يوسف بغيظه.

المبحث الثاني: الحجاج الخبري

تعمل النصوص القرآنية هنا على إقناع المتلقي عن طريق الخبر؛ والمتكلم بيني حجته على نقطة ضعف في حجة المتلقي؛ فيأتي بنص قرآني في مضمونه غرض بلاغي كالتذكير أو التنبيه أو الإخبار بحكم كان غائباً عن المتلقي، أو ما اصطلح عليه ب(فائدة الخبر)؛ فيفلح في إسكاته وإفحامه.

١- أنشد الفرزدق سليمان بن عبد الملك^(١):

ثلاثٌ واثنانِ فهنَّ خمسٌ وسادسةٌ تميلُ إلى شِمامِ
فَبِئْسَ بِجَانِيٍّ مَصْرَعَاتٍ وبتُّ أفضُّ أغلاقِ الخِتَامِ
كأنَّ مغالِقَ الرِّمانِ فيه وجمَرَ غَضَى فَعَدُنَ عليه حَامِ

فقال له سليمان: ويحك يا فرزدق، أحللت بنفسك العقوبة، أقررت عندي بالزنا، وأنا إمام، ولا بد لي من أن أحذك. فقال الفرزدق: بأي شيء أوجبت علي ذلك؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن كتاب الله هو الذي يدرأ عني الحد، قال: وأين؟ قال في قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾^(٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾

وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾^(٢).

عقوبة الزنا للمحصن في التشريع الإسلامي معلومة، وقد قر رأي الخليفة سليمان بن عبد الملك على إقامة الحد على الفرزدق بحجة اعترافه صراحة في شعره باقتراف جريمة الزنا؛ فدافعه الفرزدق بحجة قوية وهي الآية المذكورة التي أوردها الشاعر ببراعة؛ فأوهى رأي الخليفة وأوهن عزمه؛ فتغير رأيه وسكن إلى هذه الحجة، ولم يحاول دحضها، أو الرد عليها بحجة أخرى. والآية تشير إلى أن الشعراء تخالف أقوالهم أفعالهم، وهذا

(١) الدينوري، "عيون الأخبار"، ٢: ٣٦-٣٧.

(٢) سورة شعراء، الآية: ٢٢٤-٢٢٦.

معنى لا يستطيع الخليفة أن ينكره أو أن يتناول عليه، فحاجة الآية من باب التذكير، وهنا تبدو فائدة الخبر حيث أفاد الخليفة بمضمون هذه الآية من باب التذكير؛ واستهدف وعيه الفقهي؛ باعتباره خليفة المسلمين والمتصرف في شؤونهم بشرع الله. والخليفة سليمان بحكم قوامته على أمر الرعية معني بتطبيق شرع الله على كل من يتعدى الحدود الشرعية، ومن هنا التمس الخليفة حجته في إقامة العقوبة المنصوصة عليها في الزنا، التي تصل إلى الرمي رجماً! وللإفلات منها لا بد من حجة دامغة تفحم الخليفة وتقعنه بالعدول عن رأيه؛ فكانت هذه الآيات التي ثبتت همّة الخليفة، وصرفته عما كان قد عزم عليه، بل وأسكتته.

٢- "دخل رجل يدعى حميدا على الخليفة عمر بن عبد العزيز - رَحِمَهُ اللهُ - فقال له ﷺ: يا حميد! أنت القائل:

مُحَمَّدُ الَّذِي أَمْجَحُ دَارُهُ أَخُو الْخُمْرِ ذُو الشَّيْبَةِ الْأَصْلَعِ
أَتَانِي الْمَشِيبُ عَلَى شَرْبِهَا وَكَانَ كَرِيماً فَلَمْ يَنْزِعْ

فقال: نعم. قال: أما إذ أقرت، فأني سأجلدك؟ قال ولم؟ قال: لأنك أقرت بشرب الخمر، وزعمت أنك تنزع عنها. فقال: هيهات، أين تذهب بك؟ ألم تسمع قول الله يقول: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ (١) قال عمر ﷺ: أولى لك يا حميد، لقد أفلتت" (٢).

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٢٢٤-٢٢٦.

(٢) القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، "بهاجة المجالس وأنس المجالس وشخذ الذاهن الهاجس". تحقيق: مرسي الخولي، (بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ)، ١: ١٠٧.

الحِجَابُ الْمَسْكُوتُ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ فِي نَمَاذِجٍ مِنْ أَدَبِ الْأَخْبَارِ، أد. النوراني عبد الكريم كبور جبير

الخليفة عمر رضي الله عنه عازم على إيقاع عقوبة الجلد حداً على الشاعر بعد إقراره بشرب الخمر في شعره، فالخليفة رضي الله عنه على قناعة أنّ الشاعر تجاوز حداً من حدود الله والعقوبة واجبة في حقّه، ولكن الشاعر نازع الخليفة رضي الله عنه الحجّة، ودفع عنه العقوبة التي كادت تحلّ به بهذه الآية التي أدّت إلى تغيير قناعة الخليفة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فأفلت الشاعر من العقوبة؛ فمعنى الآية تشير إلى أنّ الشعراء يقولون ما لا يفعلون، وهي إشارة ضمنيّة من الشاعر بأنّه إنّما قال ما قال من باب الادّعاء وليس من باب الحقيقة، ومن هنا لا تجوز عقوبته باعتبار هذا المنطق، وأورد الشاعر الآية حجّةً بغرض التذكير والتنبيه على غفلة الخليفة، فاقنتع الخليفة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وصرف عنه عقوبة الجلد بحدّ شرب الخمر بعد أن كان ذلك وشيكاً.

٣- قيل (١) إنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى إليه بامرأة ولدت لسته أشهر فهمّ بها، فقال له عليّ رضي الله عنه: قد يكون هذا، قال تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۗ﴾ (١٥) ﴿٢﴾، وقال: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۗ﴾ (٣٣) (٣).

همّ الخليفة عمر رضي الله عنه بتطبيق النصّ الشرعي في معاقبة هذه المرأة، والجريمة التي اقترفتها هذه المرأة تستدعي تنفيذ الحدّ بعد أن قامت عليها البيّنة، وقد همّ بالتنفيذ وهو مطمئن، ولكن عليّ رضي الله عنه حاجّه بآيتين؛ كلاهما تؤكّد حقّ الطفل في أن يعيش، وأن يتمتّع بالرضاعة حولين كاملين - لمن أراد ان يتم الرضاعة - وبذلك تتحقّق الأمومة الآمنة للطفل، وقد كفل له الإسلام هذه الحقوق وغيرها فنّبّه الخليفة إلى الخطأ. فكانت هذه

(١) الدينوري، "عيون الأخبار"، ٢: ٨٣.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

الحجة مسكنة لأمير المؤمنين عليه السلام فنزل عند حكم الآيتين؛ فقد أقام علي عليه السلام الحجة التي أقنعت أمير المؤمنين عليه السلام بالعدول عن قناعاته الأولى، وإمهال المرأة حتى تكمل رضاعة طفلها.

وهنا يظهر اتحاد المقصد عند كل من الطرفين؛ فكلاهما قائم على شرع الله الخفيف، مدافع عنه، يسعى إلى تمكين أمر الله تعالى في الأرض، وتحقيق العدالة، والحرص على عدم إفلات المجرم من العقاب؛ فوقف عمر عليه السلام عند العقوبة بعد ظهور البينة، فعزم على إنفاذ الحكم على الفور! بينما استدرك علي عليه السلام عليه بالآيتين اللتين تحويان حكماً يقضي بحق الطفل في الرضاعة، وحقّ الأم في إرضاع طفلها، فكانت حجته مقنعة لأمير المؤمنين عليه السلام فسكت إسكات اقتناع واستسلام لسلطة الشرع.

٦- "أخذ زياد ابن أبيه رجلاً من الخوارج فأقلت منه، فأخذ أخاً له فقال له: إن جمعت بأخيك وإلا ضربت عنقك. فقال: أرايت لو جئت بك كتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي؟ قال: نعم. قال: فأنا آتيتك بكتاب من العزيز الرحيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى عليهما السلام: ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ (٣٧) ﴿أَلَا نَزَرُ وَأَنْزِرُ وَزُرْتُ وَزُرْتُ﴾ (٣٨) ﴿١﴾، فقال زياد: خلوا سبيله، هذا رجل لقن حجته" (٢).

يبدو أنّ زياداً عزم على إنفاذ أمره بقتل هذا الأخ بأخيه ما لم يأت به! ولم يكن من اليسير على هذا الرجل الإفلات من العقوبة المروعة حيال هذا الطغيان إلا بحيلة يقلب بها عزم هذا الأمير رأساً على عقب، فلم يتدره بالآية مباشرة، فقد مهّد لحجته أو بالأصح صاعقته بأن سألته إن كان يقبل كتاباً من الخليفة؛ لأنّ وصول خطاب منه

(١) سورة النجم، الآيات: ٣٦ - ٣٨.

(٢) ابن الجوزي، "أخبار الأذكىاء"، ١٨٩.

مما يرجوه الأمير، وقد يجتبه خطأً فادحاً ربما يقع فيه بسفح دم هذا الرجل. فلما استوثق الرجل بقبول الأمير للكتاب بادره بأن الكتاب ممن هو أعلى من أمير المؤمنين؛ من الله تعالى، وهذا أيضاً مما يشوق الأمير، ولا يدع له مناصاً لرفض الكتاب، ثم تلا عليه الآية الكريمة التي تنهى عن تحميل الوزر للبريء فأسكته بها. وهي حجة خبرية فيها مزيد علم وتنبية، وهي لم يقدمها الرجل لأجل إقناع زياد ببراءته؛ فزياد على يقين من هذه البراءة، ولكنه أطلقها ليقنعه بالعدول عن قتله بجرم غيره لينجو من الهلاك، وقد نجا، وقد اعترف زياد بقوة حجة الرجل حين قال: "هذا رجل لقن حجته".

٤- "قيل إن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا تزيدوا في مهر النساء عن أربعين أوقية وإن كانت بنت ذي القصة - يعني يزيد بن الحصين الصحابي الحارثي - فمن زاد ألقى الزيادة في بيت المال. فقالت امرأة من صف النساء، طويلة في أنفها فطس: ما ذاك لك! قال: ولم؟ قالت: لأن الله عزوجل قال: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ (١)، قال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ" (٢).

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الخلفاء الراشدين الذين لا تأخذهم في الحق لومة لائم، ومن الذين يعملون - جهد طاقتهم - لتمكين دين الله تعالى في الأرض

(١) سورة النساء، الآية: ٢٠.

(٢) ابن الجوزي، "أخبار الأذكىاء"، ٢٧١. انظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، "فتح الباري بشرح صحيح البخاري". تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، (ط١)، دمشق: الرسالة العالمية، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)، ١٥: ٤٠٤.

وإقامة شرعه الحنيف، ولا شكّ في أنّ قراره بأخذ ما زاد عن المهور ووضعه في بيت المال نابع من قناعته الراسخة بصحة رأيه هذا، فانبرت له هذه المرأة الطويلة لتحاكجه في قراره، ولتثنيه عن تطبيقه، فذكرت له هذه الآية فعدل عن رأيه، واستجاب لمنطق المرأة.

ولو وجد عمر حجة يدفع بها حجة هذه المرأة لفاعل؛ لكونه يسعى إلى وضع حدّاً لغلاء المهور؛ حتى لا يعزف الشباب عن الزواج، وحتى يتيسر للنساء محاربة العنوسة، ولا شكّ أنّه اجتهد في رأيه، وهو يعتقد صواب هذا الرأي فقد قال: "وإن كانت بنت ذي القصة"؛ يعني أنّ الأمر شامل لا استثناء فيه، وقد جهر بهذا الرأي بكل صراحة وثقة. ولكن هذه المرأة واجهته بهذه الآية التي لم تدع للخليفة العادل حجة يدافع بها عن رأيه؛ فاستجاب للحقّ، وأقرّ بالخطأ، وعدل عن رأيه، وتغيّرت قناعته، ونزل عند قول الله تعالى؛ فقد أصابته المرأة وأخطأ الرجل؛ فقد جاءت الحجة مستهدفة الخطأ في حكم الخليفة والتأثير على وعيه الديني وثقافته الفقهيّة.

٥- "كان بعض قضاة الحنفيّة من مذهبه أنّه إذا ارتاب بالشهود فرّقهم، فشهد عنده رجل وامرأتان فيما يشهد فيه النساء، فأراد أن يفرّق بين المرأتين على عادته، فقالت إحداها: أخطأت، لأنّ الله تعالى قال: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا﴾^(١)، فإذا فرقت زال المعنى الذي قصده الشرع. فأمسك"^(٢).

إنّ سلوك هذا القاضي الحنفيّ بالتفريق بين الشهود حين يرتاب فيهم يعود إلى قناعته وطريقته في إقامة العدل، وتحرّي الصواب إحقاقاً للحقّ، وقد همّ بممارسة هذا السلوك القضائي في هذه القضية بالتفريق بين المرأتين في الشهادة، ولكن هذه المرأة أرادت أن تقنعه بأنّ الأمر ليس جائزاً مع كلّ الشهود؛ فشهادة المرأتين معاً أكمل وأقرب

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٢) ابن الجوزي، "أخبار الأذكياء"، ٢٩٠.

الحِجَابُ الْمَسْكُوتُ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ فِي نَمَاذِجٍ مِنْ أَدَبِ الْأَخْبَارِ، أَد. النوراني عبد الكريم كبور جبير

إلى الحقّ، فذكرت له الآية؛ فعدل القاضي عن رأيه، وأمسك عمّا كان قد همّ به. وهذه الحجّة المسكوتة لم تكن هذه المرأة تستهدف به إثناء القاضي عن عزمه على التفريق بينها والمرأة الأخرى فحسب، بل لإقناعه كذلك بأنّ هذا الإجراء لا يجوز في كل حالة توافق حالتها هذه؛ لأنّه مخالف للشرع ولأمور التقاضي، وقد استوعب القاضي الحنفي هذه المسألة، ولزمته حجّة المرأة بالرجوع عمّا كان ينوي القيام به، فأمسك، وهذه الحجّة الخبريّة فيها تنبيه على الخطأ، وتذكير بالصواب.

٦- "قيل إنّ واصل بن عطاء أبا حذيفة أقبل في رفقة، فأحسوا الخوارج، فقال واصل لأهل الرفقة: إن هذا ليس من شأنكم، فاعتزلوا ودعوني وإياهم - وكانوا قد أشرفوا على العطب - فقالوا: شأنك. فخرج إليهم، فقالوا: ما أنت وأصحابك؟ قال: مشركون مستجبرون ليسمعوا كلام الله، ويفهموا حدوده. فقالوا: قد أجرناكم، قال: فعلمونا. فجعلوا يعلمونه أحكامهم، وجعل يقول: قد قبلت أنا ومن معي، قالوا: فامضوا مصاحبين، فإنكم إخواننا قال: ليس ذلك لكم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦) (١)، فأبلغونا مأمننا. فنظر بعضهم إلى بعض، ثم قالوا: ذاك لكم، فساروا بجمعهم حتى بلغوهم المأمن" (٢).

مع إنّ واصل بن عطاء قد احتال على الخوارج بادّعاء الكفر لينجو وأصحابه من القتل؛ لأنّ الخوارج كانوا يفتكون بغيرهم من المسلمين أينما وجدوهم، إلاّ أنّه أراد السلامة كذلك له ولأصحابه من أهوال الطريق؛ فأقنع هؤلاء الخوارج مرافقتهم حتى مقصدهم، والخوارج لم يكونوا ينوون مرافقتهم لأجل الحماية، ولم يروا داعياً لذلك،

(١) سورة التوبة، الآية: ٦.

(٢) المبرد، "الكامل في اللغة والأدب"، ٣: ١٢٢.

وينجلي ذلك في تصرفهم (فنظر بعضهم إلى بعض) فهي كناية عن المفاجأة وعدم خطور الأمر ببالهم، كما تدلّ على قوّة الحجّة الباعثة على الانقياد والتسليم، فقد تلا عليهم الآية ليقنعهم بالمسير معهم لحمايتهم؛ فكانت الآية حجّة باعثة على الإقناع؛ فساروا معهم حتى بلغوهم مأمنهم. والآية حققت قناعة عميقة تشكّلت في نفوس الخوارج، وحملتهم طوعاً على مرافقة (واصل) وجماعته، والخفارة عمل مضمّن ومجهد في ذلك الوقت، ولا شكّ أن فيلق الخوارج كان لهم ما يهمهم ويصرفهم عن مرافقة هؤلاء أو غيرهم؛ فهم غير معينين بهذا العمل، ولكن الحجّة كانت في غاية الإقناع.

وهذه الحجّة الخبريّة فيها تذكير وتنبية، وإفادة بالحكم الذي تضمنته الآية، استهدف بها (واصل) عاطفتهم الدينيّة وتشدّددهم في أمور دينهم وسرعة امتثالهم للشرع.

٧- "أمر الحجاج بقتل جماعة أسرى فقتل جماعة منهم، فقال رجل منهم - وقد عرض على القتل: لا جزاك الله عن السنّة يا حجاج إن كنّا أسأنا في الذنب، فوالله ما أحسنت في العفو؛ فإنّ الله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَّخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَأْبُودٌ وَإِمَّا فَدَاءٌ﴾ (٤) (١)، فهذا قول الله تعالى في الكفّار فكيف في المسلمين؟ فقال الحجاج: أفّ لهؤلاء الجيف، والله لو أنّهم قالوا مثل ما قال هذا الرجل ما قتلت أحداً منهم، ولكن أطلقوا بقيتهم" (٢).

أرسل هذا الأسير حجّته هذه ليعيد سيف الحجاج عن رقبتة، وهي حجّة جاءت في وقت عصيب، ولكنها حجّة أمضى من السيف، زلزلت كيان الحجاج وبدلّت قناعته من القتل إلى الاعتذار عن قتل من سبق من الأسرى وإطلاق الرجل ومن بقي معه. فالآية الكريمة - مصدر الحجّة - تبرز خيارات معاملة الأسرى من المشركين

(١) سورة محمد، الآية: ٤.

(٢) الأبياري، "المختار من نوادر الأخبار"، ٦٧.

الحِجَاجُ الْمَسْكُوتُ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ فِي نَمَاذِجٍ مِنْ أَدَبِ الْأَخْبَارِ، أد. النوراني عبد الكريم كبور جبير

بإمكانية العفو عنهم أو قبول الفداء، وإن كانت هذه المعاملة الرحيمة الكريمة مشروعة في حق الكافر فهي في حق المسلم أوجب؛ بل تكون معاملته بالرفق والإحسان وبما يليق بالمسلم، وهذه الحجّة صوّرت (الحجّاج) في هيئة من لا فكر له ولا فقه بالدين، كلّ همّة البطش والفتك دون تدبّر أو رويّة أو نظر في علم أو شرع، وهذا ما جعل (الحجّاج) يتأسّف على قتل من قتل منهم، وينعى عليهم عدم مبادرته بهذه الحجّة التي برثت عزيمته قبل أن تبت عنق هذا الأسير، وهي حجّة خيريّة تفيد الحجّاج بحكم هذه الآية وتوجيهه وزيادة معرفته بأمور الدين مع أنّه ولي أمر المسلمين فاستهدفت الحجّة إثارة مشاعر الندم والحرج، وكانت نتيجة الأمر أن أطلق سراحه ومن بقي معه من الأسرى؛ فساحوا في الأرض.

٨- "حكى أنّ العباس بن أحمد بن طولون - وأحمد بن طولون يومئذ والياً على مصر - استدعى مغنية وهو يصطحب يوماً، فلقيها بعض صالحى مصر ومعها غلام يحمل عودها فكسره، فدخل العباس إلى والده وأخبره بذلك، فأمر بإحضار الرجل الصالح، فلمّا حضر إليه قال: أنت الذي كسرت العود؟ قال: نعم. قال: أفعلمت لمن هو؟ قال: نعم، هو لابنك العباس. قال: أفما أكرمته لي. قال: أكرمه لك بمعصية الله عزّ وجلّ، والله تعالى يقول: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (٧١) ﴿١﴾، فأطرق ابن طولون عند ذلك ثم قال: كل منكر رأيته فغيّره وأنا من ورائك" (٢).

لم يرض أحمد بن طولون بتصرف الرجل الصالح حين كسر آلة الطرب، وأفسد على ابنه (العباس) متعة اللهو، واستدعاء الرجل الصالح يعني أنّ ابن طولون لم يتقبّل

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٢) شمس الدين، "قصص العرب، الموسوعة الجامعة"، ١: ٢٥.

عمله هذا، وهو ينوي عتابه أو توبيخه أو تحذيره أو بثّ الذعر في نفسه حتى لا يعود إلى مثله في المستقبل، وفوق كل هذا يرى ابن طولون أنّ الرجل الصالح كان يمكنه أن يتجاوز عن كسر آلة الطرب عندما علم أنّ المغنيّة في طريقها إلى ابنه.

ولكن الرجل الصالح جاء بحجّة بدّدت كل الاعتقادات أو القناعات السابقة، ليقنعه بأن لا شفاعاة في الحقّ، وأنّ ابنه على منكر، وكل من يؤيّد منكرًا فهو على باطل، وتلا عليه الآية الكريمة؛ فكانت حجّة بيّنة على فساد مسلك ابنه وفساده هو لمحاولته طلب التجاوز لابنه لإقراره له على باطله. وإطراق ابن طولون دليل على اقتناعه بما ورد في الآية، وأنّ الرجل الصالح على حقّ مبين، بل طلب منه تغيير كلّ منكر، وهذا اعتراف بحسن تصوّف الرجل بكسره آلة الغناء، ودليل على تعيّر قناعاته السابقة بلوم الرجل أو معاقبته، بل انخرط ابن طولون مع الرجل الصالح في محاربة المنكر فقد قال له: (وأنا من ورائك)، والحجّة الخبريّة مشتملة على التنبيه على الخطأ، وإفادة ابن طولون بأنّه ولي أمر الرعيّة وعليه بالفقه في دين الله وشرعه، والبعد عن المحاباة.

٩- "لما قدم عيينة بن حصن على ابن أخيه (الحر بن قيس)، وكان من نفر الذين يدينهم عمر رضي الله عنه، وكان القراء أصحاب مجلس عمر رضي الله عنه ومشاورته كهولاً كانوا أو شبّاناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه. فاستأذن فأذن له عمر رضي الله عنه، فلمّا دخل قال: هيه يا ابن الخطّاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل. فغضب عمر رضي الله عنه حتى همّ أن يوقع به، فقال الحر: يا أمير المؤمنين، إنّ الله سبحانه وتعالى قال لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿ خُذِ الْعَمْرَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١) وإنّ هذا من الجاهلين. فوالله ما جاوزها عمر رضي الله عنه حين

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

تلاها عليه" (١).

غضب عمر رضي الله عنه من كلام عيينة بن حصن، وهمَّ أن يعاقبه على ما واجهه به من كلام غير لائق، وتهم باطلة بعيدة عن الواقع، وأراد (الحر بن قيس) أن يخفف من غضب الخليفة، ويقنعه بالتجاوز عن هذا المسيء فقرأ عليه الآية، وحاجَّه بها وأقنعه بعدم الالتفات إلى أمثال هؤلاء؛ فهو في جملة الجاهلين، معدود فيمن يسفهون على الناس ولا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة.

فكانت الآية قوية التأثير في نفس الخليفة رضي الله عنه فاستجاب لها، وهدأت نفسه، وعاد عما كان قد همَّ به؛ فالآية جمعت مكارم الأخلاق؛ ففيها العفو عن المسيء وكل من تجاوز على غيره بما لا يستحق، إلى جانب الأمر بالمعروف وهذا باب واسع من أبواب الخير، والإعراض عن الجاهلين من أمثال عيينة، وهي حجة خبرية قائمة على التذكير والتنبية للخليفة، فكان لها مفعول السحر في نفسه رضي الله عنه فامتثلها ولم يتجاوزها، فبدلاً عن العقوبة والغضب تحوّل إلى العفو والصّفح والإعراض عن الجهل والسفه، والترفع عن الأذنياء، والسمو إلى آفاق الخلق الإنساني الرفيع.

١٠ - "قبل إن أعرابياً أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إني أصبتُ ظيماً وأنا محرم، فالتفت عمر رضي الله عنه إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال: قل، فقال عبد الرحمن: يهدي شاة، فقال عمر: أهدِ شاةً. فقال الأعرابي: والله ما درى أمير المؤمنين ما فيها حتى استفتى غيره! فحفقه عمر رضي الله عنه رضوان الله عليه بالدرة (٢)، وقال: أتقتل في الحرم وتغمص الفتيا؟ إن الله عز وجل قال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ

(١) شمس الدين، "قصص العرب، الموسوعة الجامعة"، ١: ١١٥.

(٢) خفقه: ضربه ضرباً خفيفاً. معجم المعاني، الشبكة العنكبوتية، مادة (خَفَقَ). الدرّة: سوط يضرب به، ودرّةٌ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: سَوْطُهُ الَّذِي يَضْرِبُ بِهِ. معجم المعاني، الشبكة العنكبوتية، مادة (درّة).

مُتَعَمِّدًا فَجَرَاءٌ مِّثْلُ مَا قُتِلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴿٩٥﴾^(١)، فأنا عمر بن الخطاب، وهذا عبد الرحمن بن عوف^(٢).

استهجن الأعرابي استشارة عمر رضي الله عنه لعبد الرحمن بن عوف ظناً منه أن الخليفة رضي الله عنه لا يعرف الحكم الشرعي حتى استفتى ابن عوف، وهذا التعليق من الأعرابي يدل على أنه كان ينتظر الرد من الخليفة رضي الله عنه لا من جلسه أو مستشاره، وهذا لجهل الأعرابي ببعض المسائل الشرعية الدقيقة؛ فحاجة عمر رضي الله عنه بهذه الآية التي بينت خطأ الأعرابي، وصواب تصرف الخليفة رضي الله عنه وهي حجة مفحمة، وهي من الحجج الخبرية المفيدة لأنها تبين خطأ المخاطب، وتشير إلى الصواب، وتزيد من إدراك المتلقي للمسألة موضوع الحجاج. فحجة الأعرابي الساخرة تقوم على سؤال الخليفة رضي الله عنه لمستشاره وهو ما اعتبره - المسكين - جهلاً من الخليفة رضي الله عنه بالحكم الشرعي، فجاءت حجة الخليفة دقيقة مفنّدة وهم الأعرابي فألقمته حجراً.

١١ - "أراد نجدة بن عامر الحنفي وأصحابه أن يمتحنوا عبد الله بن الزبير في بعض المسائل فقالوا: ندخل إلى هذا الرجل فننظر ما عنده، فإن قَدّم أبا بكر وعمر، وبرئ من عثمان وعليّ، وكفّر أباه وطلحة، بايعناه، وإن تكن الأخرى ظهر لنا ما عنده، فتشاغلنا بما يجدي علينا. فدخلوا على ابن الزبير، فقالوا: إنا جنناك لتخبرنا رأيك، فإن كنت على الصواب بايعناك، وإن كنت إلى غيره دعوناك إلى الحق، ما تقول في الشيخين؟ قال: خيراً، قالوا: فما تقول في عثمان، الذي أحمى الحمى، وأوى الطريد، وأظهر لأهل مصر شيئاً وكتب بخلافه، وأوطأ آل أبي معيط رقاب الناس وآثرهم بفيء المسلمين، وفي الذي بعده الذي حكّم في دين الله الرجال، وأقام على ذلك غير نائب ولا نادم، وفي أبيك وصاحبه، وقد بايعا علياً وهو إمام عادل مرضي، لم يظهر منه كفر،

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٥.

(٢) المبرد، "الكامل في اللغة والأدب"، ٣: ١٢٣.

الحِجَابِ الْمَسْكُوتِ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ فِي نَمَاذِجٍ مِنْ أَدَبِ الْأَخْبَارِ، أَد. النوراني عبد الكريم كبور جبير

ثم نكتنا بعرض من أعراض الدنيا، وأخرجنا عائشة تقاتل، وقد أمرها الله وصاحبها أن يقرن في بيوتهن؟ وكان لك في ذلك ما يدعوك إلى التوبة! فإن أنت قلت كما نقول فلك الزلفى عند الله والنصر على أيدينا، ونسأل الله لك التوفيق، وإن أبيت خذلك الله وانتصر منك بأيدينا.

فتكلم ابن الزبير وردّ عليهم في كلام يطول ذكره، ثم قال في شأن أبيه (الزبير) وطلحة: قد ذكر النبي ﷺ أنهما في الجنة، وقال جل وعز: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (١)، وما أخبرنا بعد أنه سخط عليهم، فإن يكن ما سعا فيه حقاً فأهل ذلك هم، وإن يكن زلة ففي عفو الله تمحيصها، وفيما وقفتهم له من السابقة مع نبينهم ﷺ. ثم قال في شأن عائشة رضي الله عنها: ومهما ذكرتموها به فقد بدأت بأمكم عائشة رضي الله عنها، فإن أبي آب أن تكون له أمّاً نبذ اسم الإيمان عنه، قال الله جل وعز وقوله الحق: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَفْسِهِمْ وَأَرْوَجَهُمْ لِأُمَّهَاتِهِمْ﴾ (٢)، فنظر بعضهم إلى بعض، ثم انصرفوا عنه" (٣).

أراد هؤلاء الخوارج من اتباع نجدة بن عامر محاجة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه في شأن بعض الصحابة وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وللخوارج آراء منكرة وعقيدة فاسدة، ولهم آراء تسيء إلى كبار الصحابة وأم المؤمنين، فأرادوا محاجة ابن الزبير في ذلك، وهو يعلم موقفهم من هؤلاء، فعقيدتهم معلومة. وقد استشهد بالقرآن عند

(١) سورة الفتح، الآية: ١٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(٣) انظر الخبر بتمامه في: المبرّد، "الكامل في اللغة والأدب"، ٣: ٢٠١ - ٢٠٤.

كلامه عن والده (الزبير بن العوام)، و(طلحة بن عبيد الله) رضي الله عنه و(عائشة) رضي الله عنها، والآية الأولى تدحض مزاعم الخوارج في الزبير وطلحة رضي الله عنهما، وتوضح أنهما مشمولان برحمة الله فهما شهدا بيعة الرضوان، أما السيدة عائشة رضي الله عنها فهي بنص الآية أم المؤمنين، فإن كان الخوارج يؤمنون بالقرآن فالسيدة أمهم، ومن أنكر ذلك فليس مؤمناً بما جاء به القرآن.

إنَّ الخوارج على باطل وحقَّتْهم داحضة، فكلّ متفكّه في الدين يمكنه تعرية معتقداتهم وآرائهم المنكرة، وقد أفلح عبد الله بن الزبير في إسكاتهم بهذه الحجج الباهرة، فهي حجة تفيدهم معنى الآيات ومقاصدها، فبهتوا وقد نظر بعضهم إلى بعض، وهذا دليل الافتقار إلى الحجّة، وأنهم أضحوا، فتكلّموا بلغة العيون وقالوا ما عجزت ألسنتهم عن نطقه، بأنّ ما قاله عبد الله هو الحقّ، وأنّ لا حجة بيننا وبينه، ولا مقدرة لنا على مقارعته، وليس لنا إلا الانسحاب من ميدان المحاجة، فانصرفوا وهم يتخافتون، وقد باءوا بهزيمة ثقيلة يحملون وزرها على ظهورهم.

١٢ - "قال^(١) يهودي لعلّي بن أبي طالب: ما لكم لم تلبثوا بعد نبيكم إلى خمس عشرة سنة حتى تقاتلتم؟ فقال علي رضي الله عنه: ولم أنتم لم تجف أقدامكم من البلل حتى قلت: ﴿وَجَوْرُنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمْوَسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ١٣٨ ^(٢)."

أراد اليهودي بهذا السؤال أن يقيم الحجّة على المسلمين بسرعة اختلافهم وعدم اتباع هدي نبيهم صلّى الله عليه وآله في الوحدة والترابط التي جعلت منهم أمة عظيمة؛ كما أنّ هذا

(١) الأبشهي، شهاب الدين محمد بن أحمد، "المستطرف في كل فن مستظرف". تحقيق: محمد

خير طعمه، (ط ٥، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، ١: ١٣٣

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.

الحِجَابُ الْمَسْكُوتُ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ فِي نَمَازِجٍ مِنْ أَدَبِ الْأَخْبَارِ، أَد. النوراني عبد الكريم كبور جبير

التساؤل يضم الحطّ من شأن المسلمين كونهم يقتتلون فيما بينهم كما كانوا قبل الإسلام؛ فردّ عليه علي عليه السلام وجهه بما أخرسه وسدّ عليه منافذ القول، فقد بين له في الآية سرعة اختلاف بني إسرائيل على نبيهم وحبهم للشرك حين طلبوا عبادة الأصنام اقتداءً بقوم كانوا يفعلون ذلك^(١)، والأدهى والأنكى أنهم خرجوا لتوّهم من معجزة إلهية باهرة وعجيبة - فقد شقّ الله تعالى لهم البحر فصارت ييساً وأهلك فرعون وهم ينظرون، ومع ذلك طلبوا الإشراك وعبادة غير الله تعالى ولم يمحض على خروجهم من البحر والمعجزة إلا ساعات، فأبهم الأسوأ؟ الذين تقاتلوا لأجل الخلافة دون شقاق للنبي صلى الله عليه وآله أو إمعاناً في الكفر، أم الذين شاقوا رسولهم قبل أن تحف أقدامهم من أثر معجزة كبيرة ومالوا إلى الإشراك والكفر بالله وحده. إنّ محاكاة علي عليه السلام عنه لليهودي مسكته مفحمة، ولاذعة، وهي خبريّة فيها إفادة وتنبيه لما غفل عنه اليهودي، ولو علمه لما طرق باب المحاكاة، فلم يجد اليهودي ما يرده؛ فتاه في بيد الحزن والحسرة.

(١) الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق: محمود محمد شاكر، (القاهرة

- مصر: مكتبة ابن تيمية، بدون تاريخ)، ١٣ : ٨٠.

المبحث الثالث: الحجاج الموهم (الإيهام بالحجة)

هي الحجج التي تنحو منحى السفسطة في خداع المتلقي بغرض إفحامه بحجة وهمية، يستغل فيها المتكلم العاطفة الدينية، أو قلة عقل المتلقي أو سداخته.

١ - " كان بشار بن برد يقول الشعر وهو صغير فإذا هجا قوماً جاءوا إلى أبيه فشكوه فيضربه ضرباً شديداً، فكانت أمه تقول: كم تضرب هذا الصبي الضرير أما ترجمه؟ فيقول: بلى، والله إني لأرحمه ولكنه يتعرض للناس فيشكونه إليّ. فسمعه بشار فطمع فيه فقال له: يا أبت إن هذا الذي يشكونه مني إليك هو قول الشعر، وإني إن ألمتُ عليه أغنيتك وسائر أهلي، فإن شكوني إليك فقل لهم أليس الله يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾ (٦١). فلما عاودوه شكواه قال لهم برد ما قاله بشار؛ فانصرفوا وهم يقولون: فقه بُرد أغيظ لنا من شعر بشار" (٢).

إن هؤلاء القوم الذين جاءوا يشكون بشاراً إلى أبيه كانوا يطمحون إلى إنزال العقوبة القاسية من الضرب المبرح الذي اعتادوا وقوعه على الشاعر الصغير كلما شكوه إلى أبيه، وهم على قناعة أن بشاراً مذنب ويستحق العقوبة، ولكنهم لما سمعوا الآية انصرفوا، وهذا الانصراف دليل اقتناعهم وانقطاع حجّتهم في كون بشار أساء إليهم ويجب إيقاع العقوبة به، ولم يجدوا ما يدفعون به هذه الحجة فانصرفوا وهم يتميّزون غيظاً. إن بشاراً حين اختار هذه الحجة ولقنها أباه ليدفع بها شرّ هؤلاء الناس؛ كان يرمي إلى قطع حجّتهم في اتّهامه بالتعدّي عليهم بالهجاء، ومطالبتهم بتطبيق العقاب عليه، وهي حجة موهمة، والآية الكريمة إذ تعذر الأعمى فهي تعذره في بعض الأمور ليس من بينها التعدّي المتعمّد على الآخرين، ولكن اختيار بشار الذكي مبني على أن

(١) سورة النور، الآية: ٦١.

(٢) الأصفهاني، أبو الفرج، "الأغاني"، تحقيق: سمير جابر، (ط ٢، بيروت: دار الفكر)، ٣: ٢٠٥.

الحِجَابُ الْمَسْكُوتُ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ فِي نَمَاذِجٍ مِنْ أَدَبِ الْأَخْبَارِ، أد. النوراني عبد الكريم كبور جبير

القوم لن يتعمقوا في الفهم الدقيق للآية فحاجتهم بها، وهي من الحجج الموهمة، وأفلح في إسكاتهم وصرْفهم عمّا كانوا يتطلّعون إليه.

٢- "عُرض على رجل جاريتان: بكر وثيب، فمال إلى البكر؛ فقالت الثيب: لم رغبتَ فيها وليس بيني وبينها إلا يوم؟ فقالت البكر: ﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾^(١)، فأعجبته، فاشترهما"^(٢).

أرادتِ الثيب أن تغيّر قناعة الرجل ليميل إليها، بينما أرادتِ البكر تثبيت الرجل على اختياره وزيادة درجة قناعته بها؛ فالثيب ترى أنّ فقدانها لبكرتها قبل يوم واحد - أي: الأمس - تجعلها في حكم البكر، وهذا قد يحدث تغيّراً في قناعة الرجل، بينما البكر دفعت بحجة أقوى وهي الآية التي أفتعت الرجل بالمحاولتين: قبول الثيب، والإبقاء على البكر. وقناعة الرجل نبعث من طرفة الحوار؛ فالآية أضفت على الحوار استحساناً وجمالاً، وقد جاءت ردّاً على حجة الثيب التي ترى أن فرق (اليوم) حجة للمساواة بينها والبكر؛ ففض البكرة قبل ساعات لا يؤثر فمثلها كمثل البكر، فانطلقت حجة البكر من كلمة (اليوم) التي وردت في حجة الثيب لتدلّ على أنّ فرق (اليوم) في مثل هذه الأمور كآلف سنة.

وهي حجة موهمة فلا علاقة للآية في الحقيقة بهذه الواقعة، فهي تعبّر عن أمر آخر، ولكنها أشاعت قدراً من الاستحسان، فأدّت بذلك دوراً في قيام قناعات الرجل على أسس جديدة من الإعجاب؛ فرضخ للحجّتين، ولكن حجة البكر كانت حاسمة في هذا الشأن، وقد رحمت الفتاتان الرجل، وريح الرجل الفتاتين؛ فالكل رابح، والفضل

(١) سورة الحج، الآية: ٤٧.

(٢) ابن الجوزي، "أخبار الأذكياء"، ٢٩١.

للحجّة الحاسمة.

٣- "خرج عبادة ذات يوم يريد السوق، فنظر في بعض طرقه إلى شيخ طويل اللحية كلما أراد أن يتكلم بادرت له لحيته فمرة يدسها في جيبه ومرة يجعلها تحت ركبته فقال له عبادة: يا شيخ لم تترك لحيتك هكذا قال: فتريد أن أنتفها حتى تكون مثل لحيتك؟ قال عبادة: فإن الله يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (١) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ (١)، قال ﷺ: احفوا الشارب واعفوا اللحي ومعنى عفو اللحي أن يزال أثرها فقال الشيخ: صدق الله ورسوله سأجعلها كما أمر الله ورسوله فحلق لحيته وجلس في دكانه فكان كل من رآه وسأله عن خبره قرأ عليه الآية وروى له الحديث" (٢).

هذه من الحجج الموهمة؛ ف(عبادة) أراد ان يقنع هذا الشيخ الملتحي بحلق لحيته التي لم يتمكّن من التعامل معها بشكل لائق، وكان الشيخ على قناعة بإطلاق اللحية ويرى فيه امتثالاً لتوجيهات الشرع الخفيف، فحاجّه بالآية فاقتنع بما فحلق لحيته، وصارت له حجة على غيره يحاول يقنع بها من أنكر عليه حلق لحيته، أو من يسأله عنها.

والآية لا تتحدث عن اللحية وأنه خاب من دسّاه، وفيه تجاوز غير مقبول لمعنى الآية ودلالاتها، ولكن (عبادة) أقنع الرجل ب(خاب من دسّاه) فالرجل كان يحاول دس لحيته في جيب جلبابه أو تحت ركبتيه؛ فأوهمه أنّ هذا الدس هي الخيبة التي ذكرت في الآية، فالآية ذمّت - بزعمه - من أطال لحيته حتى يدسّها سواء في جيبه أو تحت ركبتيه أو في أي مكان، فأوهم الرجل وغير قناعته بإطلاق اللحية، فحلقها هو يعتقد أنّه قد خاب من دسّاه.

(١) سورة الشمس، الآيتان: ١٠، ٩.

(٢) ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن، "أخبار الحمقى والمغفلين"، شرحه: عبد الأمير مهنا، (ط ١، بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، ٦٩. وانظر: شمس الدين، "قصص العرب، الموسوعة الجامعة"، ٢: ١٣٨.

خاتمة

تناولت هذه الدراسة الحجاج المسكوت بالقرآن في نماذج من أدب الأخبار، وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها:

- الحجّة المسكوتة قد تكون خبريّة لأجل التذكير أو التنبيه أو إفادة معرفة جديدة يجهلها المتلقّي أو غفل عنها، وقد تكون برهانيّة تقوم على المماثلة والقياس وهنا تكون وجه المماثلة برهاناً قوياً للإيحاء والتأثير وفيها تكمن الحجّة التي تسكت المتلقّي، وقد تكون موهمة تنحو نحو السفسطة وتعمل على إقناع المتلقّي بغير مقصد الآية.

- ويعتمد الحجاج المسكوت بالقرآن على براعة المتكلّم ومقدرته على إيراد الآية المناسبة في المقام المناسب تأسيساً على مواضع ضعف في كلام المتلقّي، ويكثر هذا في الحجاج البرهاني والحجاج الخبري، أمّا في الحجاج الموهم فإنّه يتأسس على استغلال العاطفة الدينية أو قلّة العقل أو الغفلة؛ فالحجاج الموهم يعمل على اللعب بالعاطفة الدينية التي تنزع إلى التسليم المطلق عند البعض دون تفكّر أو تدبّر.

- بما أنّ القناعة في هذا الضرب من الحجاج يقوم على قوّة الحجّة ومناسبتها للموقف، أو على قوة وجه المماثلة أو القياس بين الآية والواقعة موضوع الحجاج، إلّا إنّها تقوم أيضاً على الطرافة والاستحسان؛ فهناك بعض المواقف التي يستملح فيها المتلقّي طرافة الحجّة؛ فتتغيّر قناعته ويستجيب للمتكلّم.

- قيمة هذا النوع من الحجاج -المسكوت- لا تكمن الحجّة القرآنية، وإنما تكمن في المقام الأوّل في مراعاة استعداد المتلقّي ومدى إيمانه بالكتب السماويّة أو القرآن على وجه الخصوص، فالسلطة الإقناعية للآية لا قيمة لها عند الكافر أو المنافق ومن في حكمهم، وهذا من وجه إنكارهم للقرآن نصّاً مقدّساً لا

يأتيه الباطل.

- المحاجّ بالقرآن يستهدف في المتلقّي نقطة أو نقاطا بعينها في إثارة مشاعره ليجعل لحجّته الأثر المفحم المسكت، فقد يستهدف التخويف كما في موقف سلامة القس من الجارية، أو السخرية كما في موقف المرأة الحروريّة من وزراء الحجاج، أو المواساة والتعاطف كما في شأن المعزول أو الذي نُقل فيه وشاية، أو الإغراء كما في حادثة الجاريتين: البكر والثيب، ونحو ذلك.

- المحاجّ في هذا الضرب من الحجاج قد يورد النص القرآني مباشرة فيتلوّه في مسامع المتلقّي، وقد يستلهم معنى الآية، فيشير إلى الآية عن طريق التصريح أو التلويح أو الإشارة، وهذه الآيات جاءت بطرائق حجاجيّة متنوّعة أغلبها قائمة على تفكيك حجّة المتلقّي، وهدم قناعته، وتحديه، واستدراجه إلى الإذعان والتسليم.

المصادر والمراجع

- الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد، "المستطرف في كل فن مستظرف". تحقيق: محمد خير طعمه، (ط ٥، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، "أخبار الحمقى والمغفلين"، شرحه: عبد الأمير مهنا، (ط ١، بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، "أخبار الأذكىاء". (ط ١، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م).
- ٤ أبو دلامة، زند بن الجون، "ديوان أبي دلامة". تحقيق: إميل بديع يعقوب، (ط ١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
- الأبياري، محمد بن أحمد بن إسماعيل، "المختار من نوادر الأخبار". تحقيق: خالد أحمد السويد (ط ١، دمشق: دار كنان للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ - ٢٠٠٢م).
- ابن كثير، إسماعيل، "قصص الأنبياء". تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (ط ٣، مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- الأصفهاني، أبو الفرج، "الأغاني"، تحقيق: سمير جابر، (ط ٢، بيروت: دار الفكر). بدوي، عبد الرحمن، "الخطابة"، أرسطو طاليس. تحقيق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الكويت، (١٩٥٩م).
- الجاحظ، عمرو بن بحر، "البيان والتبيين". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الجيل، بدون تاريخ).
- الجرجاني، عبد القاهر، "أسرار البلاغة". (لبنان: دار المعرفة، بدون تاريخ).
- حبّاشة، صابر، "التداوليّة والحجاج مدخل ونصوص". (دمشق، ٢٠٠٨م).
- حبنكة، عبد الرحمن حسن، "ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة". (ط ٦، دمشق: دار القلم، ٢٠٠٦م).

حمداوي، جميل، "من الحجاج إلى البلاغة الجديدة". (الدار البيضاء: دار إفريقيا الشرق، بدون تاريخ).

الدريدي، سامية، "الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري". (ط ١، بيروت: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠١م).

الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، "عيون الأخبار". تحقيق: منذر محمد سعيد أبو شعر، (عمان: المكتب الإسلامي، ٢٠٠٨م).

الراضي، رشيد، "الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار". (ط ١، بيروت: دار الكتاب الجديدة، ٢٠١٠م).

شمس الدين، إبراهيم "قصص العرب، الموسوعة الجامعة". (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٢ هـ - ٢٠٠٢م).

صفوت، أحمد زكي، "جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة". (بيروت: المكتبة العلمية، بدون تاريخ).

الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق: محمود محمد شاكر، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، بدون تاريخ).

طلبة، محمد سالم الأمين، "الحجاج في البلاغة المعاصرة"، (ط ١، بيروت: دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٨م).

عبد الرحمن، طه، "في أصول الحوار وتجديد الكلام". (ط ٢، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م).

العزاوي، أبوبكر "اللغة والحجاج". (ط ١، الدار البيضاء - المغرب: دار العمدة، ٢٠٠٦م).

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، "فتح الباري بشرح صحيح البخاري". تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، (ط ١، دمشق: الرسالة العالمية، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م).

القاضي، محمد، "الخبر في الأدب، دراسة في السردية العربية". (ط ١، بيروت: دار الغرب

الحجاج المسكث بآيات القرآن في نماذج من أدب الأختبار، أد. النوراني عبد الكريم كبير جبير

الإسلامي، ١٩٩٨م).

القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر "بمجة المجالس وأنس المجالس وشحد الذاهن الهاجس". تحقيق: مرسي الخولي، (بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ).

مايير، ميشيل، "البلاغة". ترجمة: محمد أسيداه، (ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٢١م).

المرد، أبو العباس محمد بن يزيد "الكامل في اللغة والأدب". علق على أصوله: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٣، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

المجلات العلمية:

حجّار، الطاهر، وآخرون، "مجلة اللغة والآداب"، جامعة الجزائر، ع١٧، (٢٠٠٦م).
محمد الأمين، محمد سالم ولد، "مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة"،
مجلة عالم الفكر، دورية محكمة تصدر عن المركز الوطني للثقافة والفنون والآداب،
الكويت، م٢٨، ع٣، (٢٠٠٠م).

الريفي، هشام، "الحجاج عند أرسطو"، بحث منشور ضمن كتاب (أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم)، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانيّة، مكتبة الآداب، منوبة؛ المطبعة الرسميّة للجمهوريّة التونسيّة، المجلد (x×xIx)، تونس، (١٩٩٨م).
فضل الله، هادي، "السفسطائيّة من وجهة نظر منطقيّة"، الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، م١٢، ع٩٩، (٢٠٠٠م).

الولي، محمد، "مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان". مجلة عالم الفكر،
مجلة دورية محكمة تصدر عن المركز الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،
م٤٠، ع٢، (٢٠١١م).

Bibliography

- Al-Abshihi, Shihab al-Din Muhammad bin Ahmad, "The extreme in every extravagant art." Edited by: Muhammad Khair Toma, (5th Edition, Beirut: Dar Al-Maarifa, 1429 AH - 2008 AD).
- Ibn al-Jawzi, Abu al-Faraj Abd al-Rahman, "Akhbar al-Jumaq wa'l-Mughalfin," explained by: Abd al-Amir Muhanna, (1 edition, Beirut: Dar al-Fikr al-Lubani, 1410 AH - 1990 CE).
- Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman bin Ali, "Akhbar al-Azkaa." (1st edition, Beirut: Dar Ibn Hazm for printing, publishing and distribution, 2003 AD).
- Abu Dalama, Zand bin Al-Jun, "Diwan Abi Dalama." Investigation: Emile Badie Yaqoub, (1 edition, Beirut: Dar Al-Jeel, 1414 AH - 1994 AD).
- Al-Abyari, Muhammad bin Ahmed bin Ismail, "Al-Mukhtar from Anecdotes of News." Edited by: Khaled Ahmed Al-Suwaid (1 edition, Damascus: Dar Kinan for Publishing and Distribution, 1432 AH - 2002 AD).
- Ibn Kathir, Ismail, "Stories of the Prophets." Investigation: Mustafa Abdel Wahed, (3rd Edition, Makkah Al-Mukarramah: University Student Library, 1408 AH - 1988 AD).
- Al-Isfahani, Abu Al-Faraj, "Al-Aghani", ." Edited by: Samir Jaber, (2nd edition, Beirut: Dar Al-Fikr).
- Badawi, Abd al-Rahman, "Rhetoric", Aristotle Thales. ." Edited by: Ministry of Culture and National Guidance, Kuwait, (1959 AD).
- Al-Jahiz, Amr bin Bahr, "The Statement and the Explanation." ." Edited by: Abd al-Salam Muhammad Haroun (Beirut: Dar al-Jil, no date).
- Al-Jurjani, Abdel-Qaher, "Asrar Al-Balaghah." (Lebanon: Dar al-Ma'rifah, no date).
- Habashah, Saber, "Deliberative and Al-Hajjaj Introduction and Texts." (Damascus, 2008 AD).
- Habankah, Abd al-Rahman Hasan, "The Controls of Knowledge and the Principles of Inference and Debate." (6th Edition, Damascus: Dar Al-Qalam, 2006 AD).
- Hamdaoui, Jamil, "From Al-Hajjaj to the New Rhetoric." (Casablanca: House of East Africa, n.d.).
- Al-Duraidi, Samia, "Al-Hajjaj in Ancient Arabic Poetry from the Pre-Islamic Period to the Second Hijri Century." (1st edition, Beirut: The World of Modern Books, 2001 AD).

- Al -Dureidi, Samia, "Pilgrims in ancient Arabic poetry from pre - Islamic to the second century AH." (1st floor, Beirut: The World of Modern Books, 2001 AD).
- Al-Dinori, Abu Muhammad Abdullah bin Muslim bin Qutayba, "The Eyes of the News." Edited by: Munther Muhammad Saeed Abu Shaar (Amman: The Islamic Bureau, 2008).
- Al-Radi, Rashid, "Al-Hajjaj and the Fallacy from Dialogue in Reason to Reason in Dialogue." (1 edition, Beirut: New Book House, 2010 AD).
- Shams Al-Din, Ibrahim, "Stories of the Arabs, The University Encyclopedia." (1 edition, Beirut: Scientific Book House, 1432 AH - 2002 AD).
- Safwat, Ahmed Zaki, "The Collective of Arab Messages in the Prosperous Arab Ages." (Beirut: Scientific Library, n.d.).
- Al-Tabari, Muhammad bin Jarir, "Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an," Edited by: Mahmoud Muhammad Shaker, (Cairo: Ibn Taymiyyah Library, no date).
- Tolba, Muhammad Salem Al-Amin, "Al-Hajjaj in Contemporary Rhetoric," (1 edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Jadeed, 2008 AD).
- Abd al-Rahman, Taha, "On the Fundamentals of Dialogue and Renewal of Speech." (2nd Edition, Casablanca: The Arab Cultural Center, 2000 AD).
- Al-Azzawi, Abu Bakr, "The Language and the Pilgrims." (1 edition, Casablanca - Morocco: Dar Al-Omda, 2006 AD).
- Al-Asqalani, Ahmed bin Ali bin Hajar, "Fath Al-Bari Bi Sharh Sahih Al-Bukhari." Edited by: Shuaib Al-Arnaout and Adel Morshed, (1 edition, Damascus: The International Message, 1434 AH - 2013 AD).
- Al-Qadi, Muhammad, "The Story in Literature, a Study in Arabic Narrative." (1 edition, Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami, 1998 AD).
- Al-Qurtubi, Abu Omar Yusuf bin Abdullah bin Muhammad bin Abd al-Barr, "The Joy of the Councils, the Indulgence of the Councils, and Sharpening the Obsessive Mind." Edited by: Morsi Al-Khouli, (Beirut: Dar Al-Kutub Al-Alimah, no date).
- Meyer, Michel, "Rhetoric." Translated by: Muhammad Asidah, (1st edition, Beirut: The United New Book House, 2021 AD).
- Al-Mubarrad, Abu Al-Abbas Muhammad bin Yazid, "The Complete in Language and Literature." Commentary on its origins: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, (3rd edition, Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi, 1417 AH - 1997 AD).

Scientific journals:

- Hajjar, Al-Taher, and others, "Journal of Language and Literature", University of Algiers, p. 17, (2006 AD).
- Muhammad Al-Amin, Muhammad Salem Walad, "The Concept of Hajjaj at Perelman and its Development in Contemporary Rhetoric", Alam Al-Fikr magazine, a peer-reviewed periodical issued by the National Center for Culture, Arts and Literature, Kuwait, Issue 28, Issue 3, (2000 AD).
- Al-Rifi, Hisham, "The Pilgrims at Aristotle," a research published within the book (The Most Important Theories of Pilgrims in Western Traditions from Aristotle to Today), Research Team in Rhetoric and Pilgrims, Supervised by: Hammadi Samoud, University of Arts, Arts and Humanities, Library of Arts, Manouba ; The Official Press of the Republic of Tunisia, Volume (x1xxx), Tunis, (1998).
- Fadlallah, Hadi, "Sophism from a Logical Point of View," Arab Thought, Institute for Arab Development, Article 12, p. 99, (2000 AD).
- Al-Wali, Muhammad, "An Introduction to Al-Hajjaj Plato, Aristotle, and Chaim Perelman." Alam Al-Fikr Magazine, a peer-reviewed periodical magazine published by the National Center for Culture, Arts and Literature, Kuwait, Article 40, Part 2, (2011 AD).





الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

Journal of

Arabic Language and Literature

Vol : 7

Part : 2

Jan - Mar 2023